الإحالة وتماسك النص الشعري

(دراسة مع التطبيق على قصيدة رحل النهار للسيَّاب)

إعداد

د سهير إبراهيم محمد حسين

الأستاذ المساعد بكلية العلوم والآداب بطبرجل جامعة

الجوف- المملكة العربية السعودية

ومدرس العلوم اللغوية بكلية الألسن جامعة عين شمس-

جمهورية مصر العربية

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

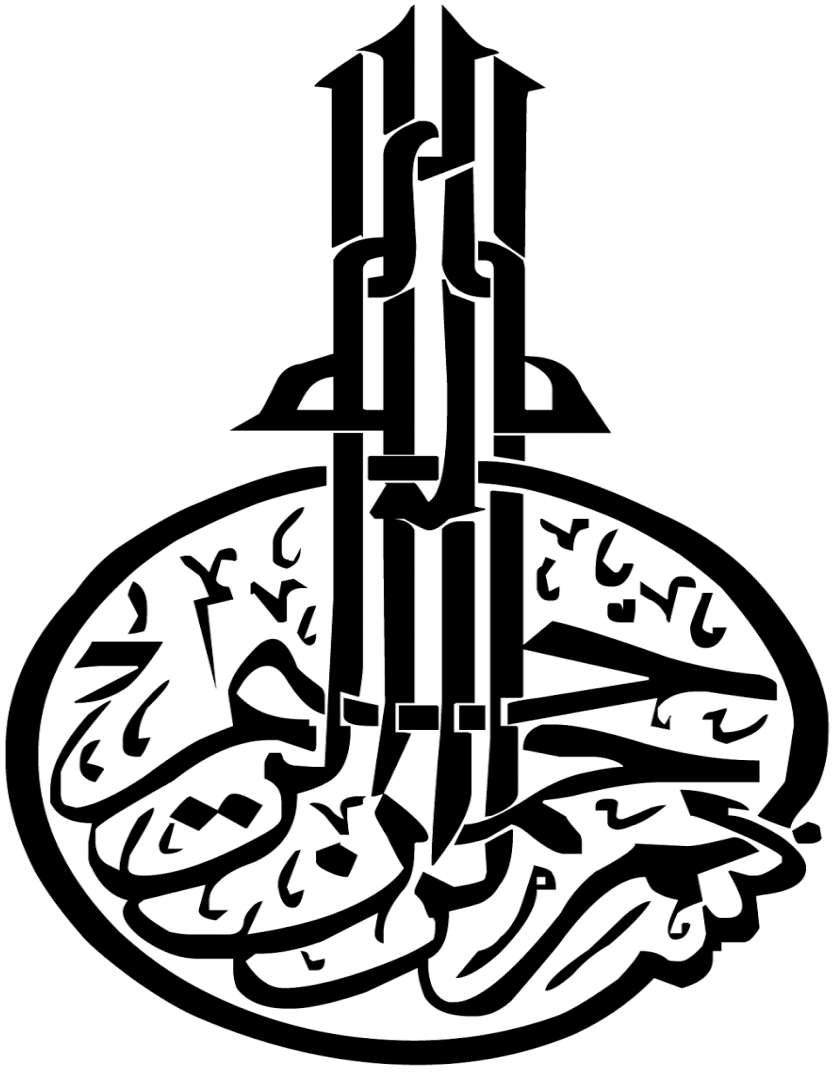

الإحالة وتماسك النص الشعري
(دراسة مع التطبيق على قصيدة رحل النهار للسيَّاب)

سهير إبراهيم محمد حسين
قسم العلوم اللغوية، كلية العلوم والآداب، جامعة الجوف، طبرجل، المملكة العربية السعودية.
قسم العلوم اللغوية، كلية الألسن، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:
Sama4ever4@gmail.com

ملخص البحث:

ينطلق هذا البحث من العام المتمثل في الوعاء النظري الخاص بمفهوم التماسك الذي أفرزته الدراسات النصية الحديثة تحت هذا العنوان الأثير علم لغة النص ومن هذا العام تخصص الدراسة نفسها في مصطلح دقيق ينضوي تحته ألا وهو الإحالة **Reference**علىٰ مستوىٰ التعريف ومنه إلىٰ التصنيف، وتقصد الباحثة بالتصنيف: ما هو خارج النص (الإحالة المقامية)، وما هو داخل النص(الإحالة النصية) ببعديها القبلي والبعدي. حيث تعد الإحالة من أبرز عناصر التماسك النصي، وواحدة من الوسائل المهمة للربط التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية، وفيها تستخدم العناصر الإشارية والإحالية. والتماسك النصي لا يتشكل إلا إذا كان هناك تماسك نحوي دلالي بين العناصر اللغوية، وبالتالي تؤدي الإحالة واستخدام الروابط دورا في إنتاج نص متماسك، وبنية منسجمة بالشكل

الذي يراه اللغويون في علم لغة النص، وهذه الروابط لا يجوز نزعها، وإسقاطها يؤدي إلىٰ تفكك النص وتباعد جمله ومكوناته، وبدونها لا تستقيم السلامة اللغوية. وتعد الإحالة من أكثر وسائل الاتساق تداولا علىٰ ألسنة الناس؛ نزوعا للاقتصاد في الكلام، وعزوفا عن التكرار. والإحالة في الخطاب من صنع المتكلم، يوظفها رغبة في توصيد رسالتهأو توصيلها. فالإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعمال تعبيرا معينا إلىٰ أن يصنع ذلك التعبير تصورا خاصا أو خبرة لدىٰ المتلقي، يتوسل به إلىٰ فهم أجزاء الخطاب المبهمة. وتمكن أهمية الإحالة في كونها مصطلحًا قائمًا علىٰ أسس معرفية متعددة تثري مفهومها الذي تقاسمته مجالات البحث المختلفة كالفلسفة والمنطق واللسانيات وعلم اللغة النصي وعلم الدلالة والسيمياء والتداولية ونظريات القراءة والتأويل، مما جعل الإحالة مصطلحًا شموليًا لا تركز علىٰ ركن واحد من أركان الخطاب بل علىٰ جميع أركانه التي تتفاعل داخل كيانه وخارجه.

الكلمات المفتاحية: الإحالة– التماسك– الإحالة المقامية–الإحالة النصية– القبلية– البعدية.

Referral and coherence of the poetic text (Study with the application on the poem "The Day of the Day" for Al-Sayyab)

Suhair Ibrahim Mohamed Hussein
Department of Linguistics, College of Sciences and Arts, Al-Jouf University, Tabarjal, Saudi Arabia. Department of Linguistics, Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University, Arab Republic of Egypt.
Email: Sama4ever4@gmail.com

Abstract:

This research stems from the year represented in the theoretical container of the concept of coherence that was produced by modern textual studies under this ether title Text Linguistics. It is outside the text (the maqamic reference), and what is inside the text (the textual reference) in its pre and post dimensions. Where reference is one of the most prominent elements of textual cohesion, and one of the important means of linkage that contribute effectively to textual competence, and in which reference and referral elements are used. Textual coherence is not formed unless there is semantic grammatical coherence between the linguistic elements, and thus the referral and the use of links play a role in producing a coherent text, and a harmonious structure in the form that linguists see in the science of the language of the text, and these links may not be removed, and dropping them leads to the disintegration of the text and the spacing of its sentences. And its components, and without them linguistic integrity is not upright. Referral is one of

the most common means of consistency on the tongues of people. Tendency to economy in speech, and reluctance to repetition. The reference in the speech is made by the speaker, who uses it as a desire to confirm or communicate his message. Referral is not something that an expression does, but it is something that someone can refer to by using a specific expression until that expression creates a special perception or experience for the recipient, which leads him to understand the ambiguous parts of the discourse. The importance of referral is possible in that it is a term based on multiple cognitive foundations that enrich its concept, which was shared by different fields of research such as philosophy, logic, linguistics, textual linguistics, semantics, semiotics, pragmatics, reading theories and interpretation, which made referral a comprehensive term that does not focus on one corner of the discourse but on all its pillars that Interact inside and outside his being.

Keywords: Referral - Cohesion - Placement referral - Textual referral - Pre- Post.

مقدمة

هذا البحث يرصد ظاهرة لغوية نصية هي ظاهرة الإحالة، ويحلل عناصرها ويبين آثارها في قصيدة(رحل النهار) لبدر شاكر السياب. والإحالة إحدىٰ أدوات الربط النصي، و"تشكل الروابط المختلفة جزءا أساسيا في تماسك النص؛ إذ أنها وسائل لغوية تعمل علىٰ تنظيم عناصر عالم الخطاب" (١). و" يعد الربط بين المفردات اللغوية داخل التركيب النحوي، وبين أجزاء النص الواحد، أهم أسس النظام التركيبي للجملة، بل يستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في الكلام دون وجود هذا الترابط بين أجزائه، سواء كان هذا الكلام جملة أو تركيبا نحويا واحدا، أو كان نصا من النصوص؛ حيث لابد أن يتوافر الترابط بين أجزاء النص ومفردات

(١) سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية ، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٧٨.

(٢) مصطفىٰ حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية(لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٩٥.

(٣) المعايير النصية السبعة هي: السبك، الحبك، القصد، التناص، المقامية، الإعلامية، القبول.

(٤) أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية(العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٥٢٣.

(٥) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ١٩٩٧م، ص ١١٧.

التركيب، حتىٰ يمكن أن تؤدي أجزاؤه مجتمعة ومترابطة معنىٰ كليا مرادا سواء كان هذا النص نثرا أو شعرا"[٢].

فالرابط إذن وسيلة مهمة من وسائل الحكم بالنصية علىٰ نص ما مع مجموعة المعايير النصية الأخرىٰ[٣]. لهذا اهتم به علم اللغة النصي تمحيصا وتفصيلا وتأملا ؛ حيث ظهر التماسك النصي بأشكاله وملامحه موزعا ومتنوعا في أطر كثيرة، استمدت قوتها لا من علم اللغة النصي، ولا من نحو النص فحسب، بل من علوم كثيرة، ومن هنا تنوعت تلك الوسائل[٤]. " إن أشكال الترابط النصي سواء كان بأدوات معينة أو دون أدوات تستلزم النظر إلىٰ النص بوصفه وحدة كاملة؛ لأنها استعمالات لغوية غير عادية، ترتكز علىٰ عناصر تماسك لا يصرح بها النص، وإنما تستنتج منه عن طريق أدلة وقرائن معنوية سياقية ومعرفية"[٥]. وجاءت الإحالة لتكون واحدة من الوسائل المهمة للربط ؛ حيث استطاعت أن تمزج بين عدة أنواع كاستخدام الضمائر والإشارة واسم الموصول وغيرها.

فالروابط في كل لغة عناصر مهمة من عناصر بناء النص، ولغتنا العربية فيها العديد من وسائل الربط. وقد توقف اللغويون والنحويون القدماء منهم والمحدثون عندها. ولم يتناول البحث من الروابط سوىٰ تلك التي تحيل إلىٰ شيء قبلها أو بعدها.

إن رصد حركات الإحالة في النص ومعرفة أدواتها تعد من أهم مفاتيح الناقد اللغوي للولوج إلىٰ بنية النص وتحليله. ومن ذلك حركة الضمائر علىٰ سطح النص، وتنوعها وتحولها، واحتواء بعضها لبعض، وما ينتج عن كل ذلك من حركات دلالية في النص نفسه تعد انعكاسا لحركة الضمائر،

وكذا الجمل المحورية، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والتكرار بأنواعه.

وتعد الإحالة أكثر الظواهر اللغوية انتشارا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص، وهي تقدم علىٰ التحكم في مسار الرسالة المبثوثة مجبرة المتلقي علىٰ التنقل في فضاء النص.

ومراعاة النصية تجعلنا نتجاوز النمط القديم الذي تناول به أسلافنا قضية الإحالة في أثناء حديثهم عن مرجع الضمير ومفسره، بل الحديث عن دور تلك الأدوات والعناصر الإحالية في بناء النص وتشكيله وتماسكه، ووصل النص اللغوي بالسياق، والاهتمام ببيان عناصر التماسك بين أجزاء النص، والسعي إلىٰ فهم النص وتفسيره استنادا إلىٰ مقولات لغوية، بالإضافة إلىٰ مقولات غير لغوية، وما يرتبط بذلك من مشكلات، مثل دور القارئ في تحديد المعنىٰ، وتحديد قصد منشئ النص، ثم تفسير عناصر النص في إطار وحدة كلية له، فدلالة المفردات والجمل خارج النص ليست هي بالضبط دلالتها داخله.

والنص الشعري الحديث نوع من الخطاب يقوم علىٰ مجموعة من الأسس والمقومات، ويحتوي علىٰ خصائص عديدة، فهو نسيج لغوي متماسك، له مبتدأ ومنتهىٰ، تظهر فيه خصائص النصية. واستوجبت خصوصية النص الشعري مراعاة الجوانب الجمالية والأبعاد الإيحائية؛ فكشف البحث عن طريق الإحالة عن ترابط بين الأسطر والأفكار.

ويهدف هذا البحث إلى تعريف الإحالة لغة واصطلاحا، وأنواعها، وأدواتها، وأهميتها، وبيان دورها في تشكيل الوحدة الكبرىٰ(البنية النصية)، ولما كان التماسك سمة أساسية لتحقيق النص، فكيف يمكن تحقيقه في الخطاب الشعري حيث اللغة وسيلة وغاية؟ وماذا يمكن أن يضفيه الربط الإحالي في قصيدة(رحل النهار) لبدر شاكر السياب من معان دلالية؟ وما أثر ذلك في الإسهام في تحقيق تماسك النص و اتساقه و خلق سمة النصية فيه؟

وينقسم هذا البحث إلى مبحثين، الأول: مبحث تنظيري تناول البحث فيه الإحالة وأنواعها وأدواتها وأهميتها في الدراسات اللغوية، أما الثاني فكان مبحثا تطبيقيا، والذي من خلاله يتبين أثر الربط الإحالي في إضفاء ظلال دلالية لم تكن توجد لولا استعماله؛ فدرس البحث الربط الإحالي في قصيدة(رحل النهار) لبدر شاكر السياب. وقد توصل البحث إلىٰ مجموعة من النتائج تم عرضها.

❁❁❁❁❁

تمهيد

سار هذا البحث علىٰ خطىٰ المنهج النصي الذي برز في الثمانينيات من القرنِ العشرين متخذا من النص وحدة لغوية كبرىٰ في دراسة النصوص وتحليلها. ويعد هذا البحث امتدادا وتطويرا لجهود السابقين من علماء اللغة العربية الذين أشاروا إشارات موسعة إلىٰ قضايا الربط والتماسك من خلال نظرية النظم وسياق الحالِ ودور المتكلم والمخاطب في إنشاء النصوص وفهمها. والنحاة في التراث العربي هم الذين حملوا علىٰ عاتقهم مهمة دراسة الجملة من الناحية الوضعية، فصاغوا قواعدها، واستقصوا أنماطها، واهتموا بموضوع الربط بين أجزاء الجملة، وذكروا المواضع التي ينبغي أن تشتمل علىٰ رابط يربطها بما سبق، ولكنهم لم يتجاوزوا حدود الجمل في دراساتهم وتحليلاتهم، بل تركوا هذه المهمة للبلاغيين والأصوليين وعلماء اللغة، الذين أسهموا إسهاما واضحا في تحليل النص، فربطوه بالسياق الذي يرد فيه؛ فقد أدرك عبد القاهر الجرجاني سمة التماسك في النص، فصاغ نظرية متكاملة سماها(النظم) أكد فيها أهمية تعلق أجزاء الكلام بعضه ببعض؛ فقد نص عبد القاهر الجرجاني علىٰ وجود علاقات وثيقة بين عناصر النص الواحد فمفردات النص بعضها يحكم البعض الآخر وتعمل جميعها علىٰ إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين عناصر النص[1].

(١) انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٩م. ص ٥٣.

وقد اعتنت الدراسات النصية الغربية بمفهوم التماسك بوصفه العمود الفقري لما يفرق بين النص وغير النص، وتعريفات النص المتعددة باختلاف توجهاتها كانت تتفق في كون التماسك المؤشر الأبرز في وجود النص، وأنه الرابط بين أجزاء النص، وهو الذي يحقق للنص وجوده، فيفرق بين النص وغير النص.

ومن أبرز الباحثين الغربيين في موضوع التماسك cohesion اللسانيين المشهورين مايكل هاليدي Michael Halliday ورقية حسن Ruqaiya Hasan اللذين صاغا ما سمياه بوسائل التماسك cohesive devices. وقد نظرا إلىٰ التماسك علىٰ أنه سمة دلالية، وعرفاه بأنه "علاقات المعنىٰ الموجودة في النص، تلك التي تعرفه بأنه نص"(١)، أي أن النصية تستمد من علاقة التماسك، ويحدث التماسك –طبقا لهما– عندما يتوقف تفسير عنصر ما في الخطاب علىٰ آخر(٢)؛ أي أن تماسك النص هو أن تتعلق أجزاؤه بعضها ببعض لتكون كتلة واحدة لا يستقل بعضها عن الآخر؛ فمن أهم وظائف النص الوظيفة التفاعلية التواصلية التي يتيحها بين منتجه ومتلقيه.

ويتحقق التماسك في اللغة بخمس وسائل، هي:الإحالة reference، والإبدال substitution، والحذف ellipsis، والربط conjunction،

(1)K.Halliday and Ruqaiya Hasan,Cohesion in English, New york,Longman,1976,p33.
(2) Ibid., p. 2..
(3) Ibid., p.-xv.
(4)M. A. K. Halliday, An Introduction to Functional Grammar, 2nd edition (London: Edward Arnold, London,P 199.

والتماسك المعجمي lexical cohesion.[٣] وقد اختصر هاليدي هذه الوسائل الخمس في كتاب لاحق[٤] في أربع عندما أدرج الإبدال تحت الحذف.

فالتماسك هو توفير عناصر الالتحام والتماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما و تحقيق الترابط بين بداية النص و آخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص، هذه البنية التي لا يمكن أن تكون مجرد تتابعات للعلامات ولكنها تملك تنظيما خاصا من داخلها و رؤية دلالية من ذاتها. وهذا التماسك يتأتىٰ من خلال وسائل لغوية تصل بين العناصر المشكلة للنص، وهذه الوسائل اللغوية تخلق النصية، بحيث تساهم في وحدة النص الشاملة، وتؤوله لكي يعد نصا، فإن انعدمت أو ضعفت افتقر الملفوظ إلىٰ النصية، أو ضعفت نصيته، ومن ثم افتقر إلىٰ التماسك. ويستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في النصوص دون وجود لهذا الترابط[١]. فمن أجل تحقيق ذلك الترابط النصي لابد من توفير مجموعة من الوسائل منها الإحالة.

(١) انظر: مصطفىٰ حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ١٩٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف- القاهرة، مادة(حول).

(٣) محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الخيرية- مصر، ١٣٠٦هـ، مادة(حول).

(٤) مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، ١٩٥٢م، مادة(حول).

فالإحالة من الأدوات التي تسهم مع غيرها في تحقيق التماسك النصي. فهي تقوم بدور أساسي في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل مع بعضها البعض بحيث يتكون نص أو خطاب شامل، ويبين البحث دور الإحالة في تلاحم أجزاء النص الشعري من خلال قصيدة(رحل النهار) لبدر شاكر السياب.

❁❁❁❁❁

(٥) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ١٩٧٢م، مادة(حول).

المبحث الأول: الإحالة تنظيرا

مفهوم الإحالة: يتضمن معنىٰ الإحالة الناحيتين اللغوية والاصطلاحية كما يلي:

الإحالة لغـــة

يقول ابن منظور" المُحَال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوّله جعله محالا، وأحَال أتىٰ بمُحَال، ورجل مِحوَالٌ: كثير محال الكلام...ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته. وروىٰ ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنّه قال: المحال الكلام لغير شيء...والحِوَالُ: كلّ شيء حال بين اثنين ...حال الرّجل يحول تحوّل من موضع إلىٰ موضع. الجوهريّ: حال إلىٰ مكان آخر أي تحوّل"[٢]. وفي تاج العروس" أحال الشيء: تحول من حال إلىٰ حال. أو أحال الرجل: تحول من شيء إلىٰ شيء"[٣]. وفي القاموس المحيط" حال الشيء وأحال: تحول، وفي الحديث: من أحال دخل الجنة، يريد من أسلم. لأنه تحول من الكفر إلىٰ الإسلام"[٤]. وفي المعجم الوسيط" أحالت الدار؛ أي تغيرت، وحال الشيء أو الرجل تغير من حال إلىٰ حال، وأحاله نقل الشيء إلىٰ غيره"[٥]. وبذلك فكلمة(أحال) تستعمل لازمة ومتعدية؛ وإذا تعدت فإنها تعني نقل الشيء من حال إلىٰ حال أخرىٰ أو توجيه شيء أو شخص علىٰ شيء أو شخص آخر لجامع يجمع بينهما. " والتغير والتحول ونقل الشيء إلىٰ غيره ليس بعيدا عن الاستخدام الدلالي للإحالة النصية، فالتحول والتغير ونقل الشيء من حالة إلىٰ أخرىٰ لا يتم إلا في ظل وجود علاقة قائمة بينهما، تلك العلاقة هي التي سمحت بالتغير، كما أن اللفظ المحيل يحمل معنىٰ ما يشير إليه،

فهو تغير من حيث الجهة كالعودة إلىٰ الوراء أو الانتقال إلىٰ الأمام من خلال علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، أو بين اللفظ وما يحيل إليه، فإرجاع اللفظ إلىٰ ما يشير إليه إنما هو تغير في الجهة ونقل المتلقي بعقله من مكان إلىٰ مكان آخر داخل النص أو خارجه، وربما اقتضىٰ النقل بالنظر أيضا حيث يتعرف المتلقي علىٰ الإحالة"[١]. وبذلك يظهر الرابط بين المعنىٰ اللغوي والمعنىٰ الاصطلاحي الذي يحيل فيه العنصر الإحالي علىٰ عنصر إشاري يفسره ويحدد دلالته كما سيتضح.

اصطلاحا

والإحالة مصطلح قديم، لكن بالتوسع في استعماله في علم اللغة النصي يكون مصطلحا جديدا، ولم يتفق اللغويون النصيون علىٰ تعريف موحد له لذلك سيعرض البحث للعديد من تعريفاته.

ذهب هاليداي ورقية حسن إلىٰ أن الإحالة علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه، كما تشير إلىٰ عملية استرجاع المعنىٰ الإحالي في الخطاب مرة أخرىٰ. فيقع التماسك عبر استمرارية المعنىٰ[٢]. وقد أشارا بذلك إلىٰ وظيفة مهمة من وظائف الإحالة وهي الاستمرارية التي تتحقق من خلال سماح الإحالة لمستخدمي اللغة

(١) أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص١٢.

(2)K.Halliday and Ruqaiya Hasan,cohesion in English, New york,Longman,1976,p45

بحفظ المحتوىٰ مستمرا في المخزون الفعال من دون الحاجة إلىٰ التصريح به مرة أخرىٰ.

عرف روبرت دي بوجراند الإحالة بقوله:" يتم تعريف الإحالة عادة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"(١) و"صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل"(٢).

وعرف جون لاينز الإحالة بقوله "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلىٰ المسميات"(٣) وهو المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة وهو تعريف أقرب إلىٰ مصطلح (الإشارة) منه إلىٰ (الإحالة). وهو مفهوم تقليدي لا يزال شائعا في الدراسات اللغوية التي تصف العلاقة بين لغة ما والكون، ولكن جون لاينز استدرك علىٰ هذا التعريف فيما بعد قائلا " إن المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب، أي أنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه

(١) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٧٢.

(٢) السابق، ص ٢٩٩.

(٣) ج. ب. براون: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ص ٣٦.

(٤) السابق، ص ٣٥.

(٥) السابق، ص ٦٠.

(٦) السابق، ص ٢٣٨.

بعملية إحالة"[٤]. فمنشئ النص هو الذي يحمل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحالية، ولهذا يقول ستروسن: إن الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما؛ ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا[٥]. ومع ذلك لا يمكن إغفال دور اللفظ ، فاللفظ هو الذي يحيل في نهاية الأمر بقصد المتكلم أو الكاتب، فدور المرسل رئيس لاشك، فهو الذي ينشئ النص، وهو الذي يحمل الألفاظ دلالتها، ويستطيع أن يخرج بها عن طبيعتها، لكنه في النهاية لابد أن يستعمل تلك الألفاظ الدالة علىٰ الإحالة، ومن دونها لن تستقيم الإحالة، فاللفظ مهم أيضا في عملية الإحالة. فاللفظ مع المنشئ يمدا جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص، إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة.

وقد عرفها بروان بأنها" العلاقات الاستراتيجية العائدة بين عنصر وعنصر آخر في السلسة النصية"[٦].

ويرىٰ سيمون ديك الإحالة" فعل تداولي تعاوني بين متكلم ومخاطب في بنية تواصلية معينة وفقا للنموذج الآتي: يحيل المتكلم المخاطب علىٰ ذات بواسطة حد"[١] أي بواسطة أدوات الإحالة. فالإحالة عملية تعاونية مشتركة بين مرسل النص ومتلقيه.

(١) سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية، ص ٨٠.

(٢) السابق، ص ٨٢.

(٣) انظر: السابق، ص ٨٣-٨٥.

(٤) انظر: الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي- بيروت، ١٩٩٣م، ص ١١٨.

وعرفها كلماير بأنها" العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه(عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها(صيغ الإحالة)"[٢]. وركز كلماير علىٰ ما سماه)ببنية التوجيه في النصوص) والتي تستدعي تحليل جمل النصوص تبعا لما يلي : توجيهات التعاقب و توجيهات الإحالة وتوجيهات التعلق. ذلك أن اتساق النص رهين بالفعل التواصلي التفاعلي بينه وبين قارئه لإدراك مغزاه، وفهم قصوده الكلامية. والمستويات الثلاث المشار إليها وإن كانت مستقلة نسبيا عن بعضها البعض،إلا أنها تلتحم لبناء وحدة النص الداخلية، بحيث يتمكن المتلقي من فك شفراته[٣].

وهناك مؤلفون عرب تناولوا موضوع الإحالة، منهم الأزهر الزناد في كتابه(نسيج النص)، ومحمد خطابي في كتابه(لسانيات النص). وتحدث الأزهر الزناد عن ما يشبه تعريفا للإحالة عندما قال إن العناصر الإحالية تطلق علىٰ قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعتمد علىٰ عنصر معين آخر في النص، فالأول يفترض الثاني، حيث لا يمكننا فك شفرته إلا بالعودة إلىٰ الثاني؛ وذلك من أجل تفسيرها وتأويلها وفهمها حتىٰ يتم اتساق النص. فشرط وجود هذه العناصر هو النص من جهة، ومعرفة ما تشير إليه أو تعويض تلك العناصر الإحالية من جهة أخرىٰ. وهي تقوم علىٰ مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[٤].

ويرىٰ محمد خطابي الإحالة هي" وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلىٰ عنصر آخر، لذا تسمىٰ عناصر

محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة"[١]. فهي تكتسب دلالتها بالعودة إلىٰ ما تشير إليه. لذا وجب قياسها علىٰ مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور في مقام آخر[٢].

فالإحالة هي علاقة دلالية معنوية بين عنصر محيل وعنصر محال إليه، ينشئها المرسل في ذهن المتلقي، تربط ألفاظا معينة مبهمة الدلالة بما تشير إليه هذه الألفاظ من ألفاظ أو مواقف سابقة عليها أو تالية لها لن يذكرها المرسل في هذا الموقف، بل يكني عنه بلفظ مبهم الدلالة مثل الضمير أو اسم الإشارة أو الموصول. يدل عليها السياق اللغوي الداخلي أو السياق غير اللغوي الخارجي(المقام)، لقصدية المتكلم الأثر في منح المعنىٰ لتلك الألفاظ المحيلة. والاقتصاد في اللفظ، وربط اللاحق بالسابق والعكس، بما يحقق الاستمرارية والتماسك في النص.

ويمكن القول إن الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول علىٰ الثاني؛ ولذا فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه. وليس ثمة علامة صرفية أو نحوية أو معجمية في العنصر المحيل نفسه يمكن أن يساعد المخاطب في تحديد المرجع المقصود، ولا في معرفة كون المرجع جزءا من النص، أو جزءا من مقام

(١) محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م، ص ١٩.

(٢) انظر: السابق، ص ٢٠.

التخاطب. ومع ذلك، يمكن للمخاطب - اتكالا على السياق أو المقام بمفهومه الواسع- أن يحدد الأشياء أو الأشخاص، أو العناصر اللغوية التي تحيل عليها العناصر المحيلة.

والإحالة في لسانيات النص هي أداة من أدوات انسجام النص وتماسكه؛ حيث تخلق علاقات معنوية من خلال عناصرها المختلفة، وذلك عن طريق مباشر بوجود عنصري الإحالة (المحيل والمحال إليه) دون حاجة إلى تأويل أحدهما؛ وفي حال عدم وجود المحال إليه بشكل مباشر داخل النص يقوم المتلقي بتأويله، ويرتبط هذا النوع من الإحالة بالمقام التداولي المحيط بالنص أو الملفوظ، ومن المهم أن تكون العلاقة بين المحيل والمحال عليه متوافقة منسجمة من خلال اشتراكهما في مجموعة من العناصر التي تؤكد طبيعة تلك العلاقة، بعضها نحوي مثل إمكانية الإسناد إليه، والآخر صرفي مثل الإفراد والتثنية والجمع أو التذكير والتأنيث.

من خلال ما سبق يتضح أن تسميتها بالإحالة هي تسمية بحسب وظيفتها؛ لأنها عناصر إحالية في النص تحيل المتلقي إلى عناصر أخرى، فهي عوض أو بدل عنها، وهذه العناصر سابقة أو لاحقة في النص أو هي من خارج النص.

إذن فعناصر الإحالة هي: صانع النص: وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد. واللفظ الحيل: وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسد إما ظاهرا أو مقدرا، كالضمير أو الإشارة. والمحال إليه: وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات. والعلاقة بين اللفظ

المحيل والمحال إليه. والمفروض أن يكون التطابق مجسدا بين اللفظ المحيل والمحال إليه[١].

قطبا الإحالة

اللغة تشمل نوعين من العناصر يمثلان قطبي الإحالة، وهما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي.

أ- **العنصر الإشاري:** يعرفه الأزهر الزناد بأنه" كل مكون لا يحتاج في فهمه إلىٰ مكون آخر يفسره"[٢]. فهو" المحال إليه من ذوات أو مفاهيم جرىٰ التعبير عنها في شكل أسماء مفردة أو مركبات اسمية تذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة في النص، كذلك الأحداث والصفات التي عبر عنها المتكلم في شكل أفعال صريحة أو مشتقات ولها مستويان: المستوىٰ الخارجي وهو المقام العام الذي كتب فيه النص، وفي أحيان كثيرة لا يذكر هذا المقام بل يظل ملحوظا. المستوىٰ الداخلي وينقسم إلىٰ قسمين: المقام الوارد عل ألسنة الشخصيات النصية الموجودة بشقيه الأساسيين: الذوات وهي الشخصيات التي تحكي أو تسمع أو تتكلم وتحاور. الأحداث، وهي ما عبرت عنها الأفعال والكلمات. القسم الثاني من المستوىٰ الداخلي، هو عالم النص، وهو عبارة عن نصوص فرعية بما تشتمل عليه من ذوات وأحداث وأزمنة وأمكنة وأقوال وأوصاف. بعضها ضروري وبعضها ثانوي"[٢]. وقد يكون لفظا دالا علىٰ حدث أو ذات،

(١) انظر: أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٥٢٩.

(٢) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٤.

(١) أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٣٧.

كإحالة ضمير المتكلم(أنا) على ذات صاحبه، وحينئذ يرتبط العنصر الإحالي بعنصر إشاري غير لغوي ممثلا بذات المتكلم، أو موقع ما في الزمان.

ويقسم العنصر الإشاري إلى عنصر يذكر مرة واحدة في النص ولا يحال إليه فهو غير عامل؛ إذ لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة. وعنصر إشاري يذكر مرة واحدة ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظه مرة أو أكثر في غضون النص فهو عامل مفرد دائما يرد في رأس الوحدة الإحالية التي يحكمها، والتي يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من العناصر الإحالية. ومفهوم الإشارة هنا عام ولا ينبغي أن يستدعي باستمرار ما أورده النحاة عن أسماء الإشارة المبهمة.

وينقسم العنصر الإشاري إلى معجمي ونصي، ويتمثل النصي في مقطع أو جزء من النص، يحال عليه بعنصر إحالة نصي، والعناصر الإشارية النصية هي مقاطع من الملفوظ، ربما تطول أو تقصر، وقد تمثل جزءا من مقاطع تجري الإحالة عليها لتجنب التكرار، وتتميز العناصر الإشارية النصية عن المعجمية بأنها أقل انتشارا، ووجودها اختياري، والعناصر الإحالية التي تقتضيها محدودة في الرصيد اللغوي.

ب- **العنصر الإحالي**: يعرفه الأزهر الزناد" العنصر الإحالي هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[٢]. وبذلك تكون العناصر

(٢) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٤.

الإحالية فارغة دلاليا، مما يجعل تفسيرها رهين بربطها بالعناصر الإشارية التي تعوضها.

والعنصر الإحالي ينقسم إلى قسمين:" عنصر إحالي معجمي: يحيل إلىٰ لفظ دال علىٰ ذات أو معنىٰ مجرد مثل: علم الشخص أو الزمان أو المكان أو صفة...إلخ. وعنصر إحالي نصي: يحيل إلىٰ مقطع كامل، جملة أو جمل متوالية، ويمكن أن يدل علىٰ الفضاء العام للنص، والعنصر هنا لا يدل علىٰ مدلول لفظ معجمي، بل يدل علىٰ مجموعة من المعاني العامة والأحداث المفهومة من جمل كثيرة"[(١)].

وفي الإحالة يحكم العنصر الإشاري كل العناصر الإحالية المتعلقة به، فيعطيها قيمتها، وهذا التحكم لا يراعي الحدود التركيبية، ولا تفرض عليه الخطية في الكلام اتجاه واحدا، وأكبر دليل علىٰ ذلك الإحالة إلىٰ اللاحق. وكثيرا لا يتطابق العنصران الإشاري والإحالي في القيود النحوية؛ فالإحالة قد تقع بين فئات نحوية عدة كأن تكون بين ضمير واسم، أو اسم واسم، أو ضمير وجملة، أو تربط بين عنصر لغوي وآخر غير لغوي موجود خارج النص.

أقسام الإحالة

لما كانت الإحالة روابط بين العبارات فيما بينها من جهة وبين العبارات والأشياء والمواقف في العالم الخارجي من جهة أخرىٰ، كان

(١) أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ٣٧ص .

(٢) انظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٧ .

(٣) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٩ .

طبعيا أن تقسم إلىٰ قسمين رئيسين: نصية ومقامية[٢]. ويفرق الباحثون بين الإحالة الخارجية، والإحالة الداخلية.

- **ويقصد بالإحالة الخارجية**(إحالة خارج اللغة/ مقامية) ذلك النوع الذي يوجه المخاطب إلىٰ شيء أو شخص في العالم الخارجي ولم يصرح به في النص فهي" إحالة عنصر لغوي إحالي علىٰ عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"[٣]. وهي تحتاج إلىٰ جهد أكبر للكشف عنها. وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها ويقع خارج النص. حيث لا يجوز الاكتفاء بالعناصر اللغوية المادية التي تتشكل منها أبنية النص في تفسيره، وإنما يجب الاهتمام بالتفاعل بين النص والمتلقي لتحديد العناصر المؤثرة، وكيفية توظيفها في النص، والتأثيرات الاتصالية، فالنص لم ينتج من فراغ، وإنما اشتركت عوامل عدة في إنتاجه منها ما هو اجتماعي ومعرفي ولغوي.

- أما الإحالة الداخلية(إحالة لغوية) وتسمىٰ الإحالة الداخلية بالإحالة النصية حيث تركز علىٰ العلاقات اللغوية في النص ذاته. وتستخدم لتدل علىٰ ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب علىٰ عنصر لغوي داخل النص. و قد تكون بين ضمير و كلمة أو بين كلمة و كلمة أو عبارة و كلمة وتنقسم إلىٰ قسمين:

أ- **إحالة على السابق** (**قبلية**) anaphoric reference : وذلك عندما يعود العنصر المحيل علىٰ عنصر لغوي متقدم حيث يعود علىٰ مفسر سبق التلفظ به . وهي أكثر دورانا في الكلام.

ب- إحالة على اللاحق (بعدية) cataphoric reference : **تعود علىٰ عنصر إشاري مذكور بعدها في النص متأخر، وهو قليل مثل ضمير الشأن في العربية(١).**

فالإحالة القبلية تقتضي العودة إلىٰ الوراء؛ لتحديد مرجع الإحالة حيث ذكر المحال إليه(٢). والإحالة البعدية هي إحالة علىٰ اللاحق الذي لم يذكر بعد. والإحالة البعدية قد تصبح سلاحا ذا حدين؛ " فهي إما أن تجعل المتلقي متحفزا متشوقا إلىٰ مرجع هذا اللفظ الكنائي ومفسره فيظل دائما في يقظة لصنع هذا الربط، وإما أن تقلل من دقة متابعته فيظل المعنىٰ مشوشا حتىٰ يجد المرجع، فإذا وجد المرجع فقد يحتاج إلىٰ قراءة النص، وربما صعب عليه ذلك إذا كان مستمعا لحوار ربما يكون قد انتهىٰ. وهذا يجعل أمر الإحالة البعدية عسيرا أحيانا وربما كان هذا سببا في قلة استخدامها. ومن هنا يشير علماء اللغة النصيون بضرورة ألا نترك مسافة كبيرة بين اللفظ المحيل والمحال إليه في الإحالتين القبلية والبعدية إذ يمكن أن يسبب ذلك إرهاقا للمتلقي بدلا من سهولة الربط والتماسك"(٣). فقد يكتنف الإحالةَ البعدية شيء من الغموض؛ فالمتلقي لا يعرف ما الذي يشير إليه الضمير، وقد يصعب علىٰ المتلقي تحديد مرجعية الإحالة وذلك إما لوجود مسافة كبيرة بين اللفظ والمحال إليه، أو لوجود أكثر من مرجع دون دليل يعين

(1)Baaibaki,Ramzy Monir:Dictionary OF Linguistics Terms,p421

ومحمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٧.

(٢) انظر محمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٤٥.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

المتلقي على تحديده، أو إذا كان المتلقي ضعيف الثقافة أو المعرفة بالموضوع الذي يتحدث عنه المتكلم، كما يزداد الأمر صعوبة إذا ارتبطت الإحالة بسياق المقام.

حيث يمكن تقسيم الإحالة من حيث المدى إلى إحالة ذات مدى قريب: سواء كانت إحالة قبلية أو بعدية، وتكون المسافة الفاصلة بين الأداة الإحالية ومرجعها لا يتعدى حدود الجملة الواحدة. وإحالة ذات مدى بعيد: تكون فيها المسافة الفاصلة بين الأداة الإحالية ومرجعها في جمل متباعدة من النص. وليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معها في الإحالة حيث يمكن أن يسبب ذلك غموضا أو لبسا أو قلقا عند المتلقي يفقد معه متابعة النص(١).

إذن الإحالة النصية الداخلية هي إرجاع اللفظ للفظ قبله أو بعده داخل النص. أما الإحالة المقامية الخارجية تقوم على مبدأ التفاعل بين المتلقي والنص والمواقف العامة الخارجة عن النص، فهي تساهم في جعل النص منفتحا على مستويات التأويل والقراءة المتعددة اعتمادا على الخلفية المعرفية للقارئ وانفتاحه على الثقافي والأسطوري والتاريخي والخرافة والدين والنظم السلوكية المعيارية وغيرها كفضاء مشترك يخزن المعلومات ويستخرجها في المواضع التي يحتاجها للتفاعل مع النص

(١) انظر: أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٤٦.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: السابق، ص ٤٦.

وتفسيره. فلكل خطاب عالمه الخاص به، وقد لا يفهم جيدا إذا ما استؤصل من مقامه التواصلي. وطرفا التواصل في تعاملهما بالنصوص، وتفاعلهما معها يعتمدان كثيرا علىٰ المعلومات المسبقة، والملابسات الحاضرة أثناء إنتاج الخطاب أو تلقيه.

و" يمكن للأدوات المحيلة أن تصدق علىٰ شيء واحد، كما يمكن لها أن تصدق علىٰ أكثر من شيء، والذي يحدد ذلك كله النص بما يحمله من دلالات ومفاهيم، وسياقه هو الذي يساعد علىٰ ذلك.....ومن قبيل التعدد ما يمكن أن نطلق عليه الإحالة المجازية. فعندما تكون الإحالة حقيقية.... فإن الأمر لا يعدو الأحادية، أما إذا لمحنا المجاز في الإحالة، فإن التعدد يظهر بشكل واضح"[٢].

والإحالة بنوعيها الداخلي والخارجي تعمل علىٰ ترابط النص وتماسكه فالإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لأنها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص[٣].

الإحالة التكرارية: وهناك نوع من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص أو آخرها قصد التأكيد، أو في بداية مقطع أو آخره، أو بتكرار عدة جمل أو مقطع بأكمله، أو أكثر، ويطلق علىٰ هذا النوع(الإحالة التكرارية)[١].

(١) انظر: سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية، ص ٨٨، ٨٩.

(2)Look: K.Halliday and Ruqaiya Hasan,cohesion in English,p36.

تعدد الإحالات وزيادة النصية

ولعل من المفارقات الجديرة بالملاحظة أنه كلما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها علىٰ غيرها في فهمها، واضمحل استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطية، والتعلقية، وقدراتها التماسكية، وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام.

أدوات الإحالة:

ونعني بها تلك الأدوات أو الألفاظ التي تهدينا لتحديد المحال إليه داخل السياق اللغوي أو سياق المقام. وتتوافر تلك الأدوات في كل لغة طبيعية، وقد قسمها هاليدي ورقية حسن في كتابهما(الاتساق في الإنجليزية) إلىٰ الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة[٢]. ويمكن في العربية التمييز بين أربعة أنواع من الإحالة، الإحالة الشخصية، ممثلة في الضمائر، والإحالة الإشارية، ممثلة في أسماء الإشارة، والإحالة بالأسماء الموصولة، والإحالة بالمقارنة، التي تكون باستخدام ألفاظ معينة تفهم منها الموازنة بينها وبين ما سبق. والجامع بين هذه الصور المختلفة، هو أنها جميعها تعود من وسيلة الإحالة إلىٰ مرجع هذه الوسيلة في الكلام.

وأدوات الإحالة تخلو من أي محتوىٰ دلالي يقود إلىٰ الكشف عن مكنونات النص بدون إحالتها إلىٰ مرجعياتها التي هي الوحدات الدلالية القبلية أو البعدية داخل النص، أو المرجعيات خارج النص والتي سوف تسهم في فتح النص علىٰ مستويات من التأويل واتساقه، وأيضا في عدم تفككه الذي يؤدي إلىٰ الإشكال في القراءة التواصلية. كما إن هذه العناصر الإحالية تسهم بشكل كبير في الكشف عن مقاصد النص الذي هو أساس

نصيته، وتجعل منه بنية قابلة للفهم والقراءة من خلال عناصر الإحالة النصية والمقامية، وحضورهما واشتراكهما معا سوف يقودان النص إلىٰ تحقيق وحدته الدلالية الكبرىٰ. فهي تعمل كلها من أجل المحافظة علىٰ نص يحقق ذاته شكلا ومعنىٰ، وتعمل علىٰ تماسكه، وتجنح إلىٰ تفسيره، وفهمه، والوصول لغائيته النصيته. فهي عناصر تحفز المتلقي علىٰ البحث في مكان آخر عن معناها، ومتىٰ كان الشيء المحال إليه داخل النص، فإن تلك الأدوات تلعب دورا أساسيا في تحقيق التماسك النصي. وأكثرها شيوعا الضمائر، فهي أكثر أدوات الربط الإحالي استخداما.

أولا: الإحالة بالضمائر

الضمير أكثر الفئات النحوية تحقيقا للإحالة؛ لأنه يتضمن وظيفة إبهامية من جهة، ولتعدد صوره ومواضعه من جهة أخرىٰ؛ فقد يكون ملفوظا به سابقا مطابقا مرجعه، أو متضمنا إياه، أو دالا عليه بالالتزام، أو متأخرا لفظا لا رتبة، وقد يدل عليه المقام فيضمر ثقة بفهم السامع، وغير ذلك من حالات عود الضمير. والضمير" ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم لفظا أو معنىٰ أو حكما"[(١)].

(١) رضي الدين الاستراباذي: شرح كافية بن الحاجب، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٨م، ج٣، ص ٦.

(٢) انظر: عباس حسن: النحو الوافي، دار المعاف، ط١، ١٩٩١م، ج١، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) مصطفىٰ حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ١٩٦.

(٤) انظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٨.

والضمير اسم جامد مبني، وسبب بنائه لأنه لا يثنىٰ، ولا يجمع، فلا تلحقه علامة التثنية أو الجمع، وإنما يدل بذاته وصيغته علىٰ المفرد أو المثنىٰ أو الجمع(المذكر والمؤنث)[٢].

والضمير هو" الأصل في الربط بين الأسماء. سواء كان بارزا أو مستترا؛ ذلك لأنه- وإن كان مستترا، ويدرك بالعقل، ويستنبط من خلال المعنىٰ- فإنه في بعض المواضع يأتي رابط للجملة التي يستتر فيها بالجملة التي قبلها"[٣].

وهي نوعان: ضمائر تحيل إلىٰ خارج النص مثل الضمائر الدالة علىٰ المتكلم والمخاطب، وضمائر تؤدي دورا هاما في تماسك النص مثل ضمائر الغيبة فإحالتها داخل النص[٤]. ولا يعوّل النصيون علىٰ الضمائر المحيلة إلىٰ متكلم أو مخاطب في عملية تماسك النص فهي تحيل خارج النص وذلك كالضمير أنا، أو نحن، أو أنت، أو أنتم، أو أنتن، إنما يعولون علىٰ ضمائر الغياب التي تحيل غالبا إلىٰ شيء داخل النص، ومن ثمَ تدفع المتلقي إلىٰ البحث في النص عما يعود إليه الضمير[١].

وتقسم الضمائر إلىٰ: وجودية، وملكية. والوجودية تنقسم إلىٰ: ضمير المتكلم مثل "أنا"، وضمير المخاطب مثل "أنت"، ويشترك هذان النوعان في كون إحالتهما إحالة خارجية دائما، ولعل مسوغ ذلك كونهما

(١) أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٥٣٣.

(٢) رض الدين الاستراباذي: شرح الرضي علىٰ الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس- بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٤٠٤.

حاضرين في المقام التخاطبي. أما النوع الثالث فهو ضمير الغائب، وهذا النوع من الضمائر مهم في تحقيق التماسك في النص؛ لأنه يربط الكلام بعضه ببعض. والملكية تنقسم كذلك إلىٰ: ضمائر للمتكلم، وللمخاطب، وللغائب.

وقد يحدث لبس من تعدد المحال إليه(العنصر الإشاري)، فتتعدد بالتالي الاحتمالات والتأويلات، فيلجأ عندئذ إلىٰ ترجيح أحدها اعتمادا علىٰ مهارة المفسر أو المتلقي أو بالاحتكام إلىٰ قرائن معينة فـ" لابد للضمير من متقدم يرجع إليه، تقدما لفظيا أو معنويا، والتقدم اللفظي: أن يذكر المفسر قبل الضمير ذكرا صريحا، واعلم أنه إذا تقدم مما يصلح للتفسير شيئان فصاعدا، فالمفسر هو الأقرب لا غير، ويجوز مع القرينة أن يكون الأبعد"[٢]. فتعدد الإحالة يمكن تفسيره بقرينتين: إحداهما نحوية، وهي عود الضمير علىٰ العنصر الإشاري الأقرب، والثانية بلاغية تعتمد علىٰ لعبة الحقيقة والمجاز.

تقسيم الضمائر(الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة)

يقوم التفريق في العربية بين الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة علىٰ أساس الموقع الذي يأخذه الضمير في التركيب، فالضمير المتصل يقع بعد لفظ آخر، ويتصل به سواء أكان اللفظ الآخر فعلا ، أو اسما، أو حرفا، ويعامل من الناحية الإملائية (أو الكتابية) معاملة جزء الكلمة، وليس كلمة مستقلة، وإن عومل من الناحية النحوية (ولاسيما الإعرابية) معاملة الكلمة المستقلة. أما الضمير المنفصل فيتسم بالاستقلال من الناحيتين الإملائية والنحوية. ونتيجة لتأسيس الاتصال والانفصال في الضمير علىٰ معايير موقعية، فقد انعكس ذلك علىٰ التقديم والتأخير في التركيب، وهو أمر متوقف علىٰ عوامل أسلوبية تتصل بأغراض بلاغية.

الضمير ومرجعه

ومن المهم في استخدام الضمائر المطابقة بين الضمير ومرجعه، وهي التي تحقق التماسك في الكلام، وينبغي أن نفرق هنا بين عدم المطابقة وعدم الربط، فالأول يؤدي إلىٰ خلل أسلوبي، والثاني يؤدي إلىٰ خلل في المعنىٰ.

ويعد التطابق الوسيلة الكفيلة بربط الضمير بمرجعه، وهو ما يمنح التركيب سمة التماسك، وإذا كان الأصل في نظام الضمائر في العربية أن يستخدم كل ضمير لمرجع معين وفقا لمقولات الجهة، والجنس، والعدد، بحيث يشير ضمير المتكلم -مثلا- إلىٰ المتكلم، والمذكر إلىٰ المذكر، والمفرد إلىٰ المفرد، فإن هذا النظام يسمح بنوعين من الاستثناءات، أحدهما وضعي تسمح به قواعد النحو، والثاني بلاغي يخضع لاعتبارات أسلوبية، وسنتحدث عن هذين النوعين فيما يأتي:

- الاستثناء الوضعي:

بمقتضىٰ هذا الاستثناء يستخدم ضميرا المتكلمين "نحن" و"نا" للمتكلم المفرد، وضمير المخاطبين "أنتم" ونحوه للمخاطب المفرد لأجل تعظيمهما. ومن ذلك أيضا معاملة غير العاقل معاملة العاقل إذا أسند إليه صفة من صفات العقلاء. واللغة العربية تنزع نحو تغليب المذكر علىٰ المؤنث عند اجتماعهما، أو عند الحديث عن أشخاص غير محددين.

- الاستثناء البلاغي(الالتفات):

وقد عرف البلاغيون الالتفات بأنه" التعبير عن معنىٰ بطريق من الطرق الثلاثة(التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[(١)]. أو هو" الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك وسبيله أن يكون الشاعر آخذا في معنىٰ ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلىٰ الثاني فيأتي به، ثم يعود إلىٰ الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول"[(٢)].

فإذا كان الأصل في نظام العربية أن يستخدم كل ضمير لمرجع معين وفقا لمقولات الجهة، والجنس، والعدد؛ فالضمير في هذا النوع يخالف مرجعه، ففي الالتفات عدم مراعاة المطابقة بين الضمائر لأغراض بلاغية، وهي ظاهرة تختل فيها المطابقة في الجهة، أو في العدد فقط ، دون الجنس. وتتمثل المخالفة في الجهة في: الالتفات من المتكلم إلىٰ الغائب. أو

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلم، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٧٢.

(٢) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج٢، ص ٤٥.

الالتفات من الغائب إلىٰ المتكلم.أو الالتفات من المخاطب إلىٰ الغائب. أو الالتفات من الغائب إلىٰ المخاطب.أو الالتفات من المتكلم إلىٰ المخاطب. أو الالتفات من المخاطب إلىٰ المتكلم. ويقصد بالمخالفة في العدد أن يلتفت من ضمير إلىٰ آخر مخالف له من حيث الإفراد أو التثنية أو الجمع.

مرجعية الضمير وإزالة اللبس

إعادة الضمير إلىٰ مرجعه من أهم المهام التي يقوم بها مفسر النص؛ لأنها تزيل عنه اللبس، وتوضح دلالاته، ولا شك أن اللبس يحول دون تماسك النص(١). كما أن إزالة اللبس عن النص يقوي تماسكه، ويبين الرابط بين أجزائه. ولما كان ضميرا المتكلم والمخاطب يرجعان إلىٰ المشاركين في عملية التخاطب، فإن مهمة تحديد من يشيران إليه عملية سهلة عادة؛ لعدم إمكان اللبس فيها، ولكن الصعوبة قد تكتنف عملية إرجاع ضمير الغائب إلىٰ صاحبه؛ لأنه "عار عن المشاهدة، فاحتيج إلىٰ عود الضمير إلىٰ ما يفسره"(٢).

(1) Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-semiotic perspective (Oxford: Oxford University Press, 1989), 89.

(٢) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص ٢١٨.

(٣) انظر: رضي الدين الاستراباذي: شرح الرضي علىٰ الكافية، ج ٤،ص٢.

(٤) انظر: السابق، ج٤، ص ٣.

واشتهر بين النحاة ضابط مشهور لإعادة الضمير إلىٰ مرجعه وهو أن "الضمير يرجع إلىٰ أقرب مذكور"[٣]. صالح لغة وعقلا لعود الضمير إليه. وقد ذكر النحاة استثنائين للضابط المذكور في عود الضمير،فإذا كان المرجع جزءا من تركيب الإضافة، فإن المرجع ينبغي أن يكون المضاف مع أنه أبعد علىٰ الضمير من المضاف إليه. كما قد أشار النحاة القدامىٰ إلىٰ أن إعادة الضمير علىٰ المتحدث عنه أولىٰ من إعادته إلىٰ الأقرب[٤]. وعموما فإن هناك أمثلة يصعب أن نقرر فيها أن المرجع هو المتحدث عنه، أو هو أقرب المذكورات التي يصلح أن يعود الضمير إليها.

والأصل في عود الضمير أن يرجع إلىٰ متقدم في الذكر؛ لأن الضمائر بطبيعتها ملبسة، فلا تتقدم علىٰ مراجعها، بل ينبغي أن تتقدم تلك المراجع لفظا، أو معنىٰ، أو حكما؛ "لأنك إذا قلت: قاموا، وما أشبهه، احتمل الزيدين، والعمرين، والمسلمين، والمشركين، فأرادوا ألاّ يعيدوها إلا علىٰ ما يتقدم ذكره دفعًا لهذا الإلباس"[١].

ومن أدوات الربط الإحالي أدوات الإشارة: ومنها (هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذاك وذلك وتلك والآن وأمس وهنا وهناك ،ثم، الآن، غدا...) وتقوم هذه الأدوات بالربط النصي، ويتميز المفرد بالإحالة الموسعة، وهي إمكانية الإحالة إلىٰ جملة أو مجموعة من الجمل المتتالية، كما لو تابعنا مذيع النشرة الإخبارية عندما يقول :(هذا وسيصدر يوم

(١) أبو عمرو عثمان بن الحاجب: أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قداره، دار عمار- بيروت، دار الجيل- عمان، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٧٧٢.

الثلاثاء القادم بيان التأسيس لأول قناة تليفزيونية باكتتاب شعبي) بعد أن يقرأ بالتفصيل خبرا عن تأسيس قناة تلفزيونية شعبية.وأسماء الإشارة (مثلها في ذلك مثل الضمائر) قد تشير إلىٰ خارج النص أو داخله، فهي تقوم بالربط القبلي و البعدي ومن ثمة تسهم في تماسك النص.

ومن الربط الإحالي الإحالة بالمقارنة وهي تعني تلك الأدوات التي تؤدي إلىٰ التشبيه أو المقارنة أو الاختلاف كما في (مثل، مشابه، أكثر، أقل، أكبر، كبير مثل، مقارنة بما، أسوة بـ...) وهي لا تختلف عن أدوات الإشارة من حيث الوظيفة الاتساقية. فكل عملية مقارنة تتضمن شيئين -في الأقل- يشتركان في سمة مشتركة بينهما. وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك. ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضىٰ ذلك من المخاطب أن ينظر إلىٰ غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم. وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا، ويحتمل أن يكون داخليا، فإذا كان داخليا، فإما أن يكون المرجع متقدما، أو متأخرا يكون مع أدوات المقارنة. وعلىٰ الرغم من أن المقارنة أضعف من غيرها من وسائل تماسك النص في الربط بين أجزائه، فقد تؤدي وظيفة فعالة في تعليق الأجزاء بعضها ببعض، إن من أهم العلامات والمعايير التي يعرف بها كون التعبير محيلا أم لا، وبناء عليه يعرف مدىٰ أثره في تماسك النص، هو اختبار قدرة التركيب الذي يحتوي عليه في أن يكون جملة افتتاحية لا تسبق بغيرها، وبذلك فألفاظ المقارنة تترك أثر في ترابط النص، واستمراره، واعتماد بعضه علىٰ بعض.

ومن أدوات الربط الإحالي الأسماء الموصولة: ولا تملك هذه الأدوات دلالة مستقلة بل تعود إلىٰ عنصر مذكور في أجزاء النص، ومن هذه الأدوات(الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين ...) ومثلها مثل الأدوات السابقة؛ حيث لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها تعويض عما تحيل إليه، عندما تصنع ربطا دلاليا بين ما قبلها وما بعدها.

ويعد الاسم الموصول وسيلة من وسائل التماسك النصي؛ لأنه يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يعطف علىٰ هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويكون نصا كاملا، ويظل مرتبطا كله بالاسم الموصول الأول. ومن جهة أخرىٰ يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطا بهذا المذكور السابق محدثا نسقا واحدا للنص كله.

أهمية الإحالة

– الإحالة من أهم وسائل التماسك، التي تسهم في الكفاية النصية. وهي تقوم بربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل مع بعضها البعض بحيث يتكون نصا، كما أنها ترتبط عدة نصوص عن طريق الإحالة الخارجية. وتأتي رتبة الإحالة في مقدمة وسائل الربط؛ لأنها تشغل عقل المتلقي بالبحث عن مرجع الأداة، فالمتلقي يرىٰ أمامه أداة تحيل إلىٰ شيء لابد أن يبحث عنه، إما فيما سبق من أجزاء النص في الإحالة القبلية، أو فيما هو آت في الإحالة البعدية، أو أن المتلق يعمل عقله في السياق(المقام) في الإحالة إلىٰ غير مذكور، ليوجد ما تصدق عليه الإحالة حدثا وزمانا ومكانا ومنطقا.

- تعمل علىٰ الإيجاز والاختصار: فأحيانا يرتجل المتحدث الكلام فيعيد الألفاظ في العبارات والجمل والتراكيب التي تتحد في دلالتها، وهنا يأتي دور الإحالة لتعالج هذه المشكلة إنها تقوم بوظيفة الاقتصاد والثبات المعنوي، حيث" تعد الإحالة من أكثر وسائل الاتساق تداولا علىٰ ألسنة الناس نزوعا للاقتصاد في الكلام، وعزوفا عن التكرار"[1]. وبالإضافة إلىٰ الإيجاز تؤدي الإحالة إلىٰ الدقة الدلالية؛ حيث يعود اللفظ إلىٰ شيء سابق دون تكراره، فـ" أصل الإحالة أن يتكرر اللفظ بذاته فيحيل إلىٰ ذكره الذي سبق، فهذا تكرار يحيل إليه بنصه وليس بالإضمار له ولا الإشارة إليه وإعادة معناه بوسيلة أخرىٰ تحتمله وتحتمل غيره"[2]. فتكراره يؤدي إلىٰ خلط حين يتكرر داخل النص الواحد، ومن هنا يمكن الخروج من رتابة الأسلوب مع إحكام السبك باستخدام وسائل مختلفة، تأتي في مقدمتها الإحالة[3].

❁❁❁❁❁

(١) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٨.

(٢) تمام حسان: الخلاصة النحوية، ص ٨٩، وينظر: حسن رفعت: الموقفية في النحو العربي، ص ٢١.

(٣) انظر: أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص ٤٧.

المبحث الثاني:

الإحالة تطبيقا(الربط الإحالي في قصيدة رحل النهار لبدر شاكر السياب)[١](١٩٢٦م – ١٩٦٤م)

رحلَ النَّهار

ها إنهُ انطفأتْ ذبالتُهُ علىٰ أفقٍ توهجَ دونَ نار

و جلستِ تنتظرين عودةَ سندباد من السِّفار

و البحرُ يصرخُ من ورائِك، بالعواصفِ و الرعود.

هو لن يعود،

أو ما علمتِ بأنه أسرته آلهةُ البحار

في قلعةٍ سوداء في جزرٍ من الدمِ و المحار

هو لن يعود،

رحل النهار

---

(١) كتبت هذه القصيدة في بيروت بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٦٢، أي في أواخر حياة السياب وهي الفترة التي اشتد به المرض، وأيقن أن النهاية قريبة وآتية لا ريب فيها. ويُقال إن وراء هذه القصيدة قصة محزنة، ومفادها أنه عندما مرض السياب وأقعده المرض في المستشفىٰ أحب ممرضه لبنانية ذات شعر أشقر كانت تقوم علىٰ خدمته كما أحبته الممرضة، وأعطته خصلة شعر من شعرها الأشقر فاحتفظ بهذه الخصلة في كتاب عنده. وأثناء وجود زوجته معه اكتشفت صدفة تلك الخصلة وعرفت أنها تعود للممرضة فغضبت وقررت أن ترميها بالبحر وهو يناشدها ألا تفعل. ورأها تغرق أمامه بالبحر ولم يجد ما يعزي نفسه بفقد تلك الخصلة الغالية علىٰ قلبه إلا بأبيات شعر نتجت عنها هذه القصيدة.

(٢) بدر شاكر السياب: ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة– بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٢٩.

فلترحلي، هو لن يعود[٢].

يمكن القول أولا بوجود ما يمكن تسميته بالإحالة إلى ما هو عام(يشترك فيه بدر شاكر السياب وغيره) وهو:

- الإحالة إلىٰ رائدة المدرسة التي ينتمي إليها بدر شاكر السياب وهي نازك الملائكة.

- الإحالة إلىٰ التوجه الفكري الذي يتبناه أبناء هذه المدرسة ألا وهو التوجه الواقعي. فالقصيدة في وضعها النفسي والشعوري فيها إحالة عامة علىٰ كل شعراء المدرسة الواقعية الذين يهيمن علىٰ تجاربهم جو الأزمة (وكذلك غيرهم من شعراء الرومانسية الذين تسيطر عليهم العاطفة الحزينة). إنه ينتقي من ثوب الواقع مواقف مرة يقوم بنسجها في قصيدته.

وإحالة خاصة تظهر من خلال خصوصية التجربة الشعرية لدىٰ السياب وانعكاسها في قصيدته.

وسبق وذكر البحث أن العناصر التي تملك خاصية الإحالة تضم الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات المقارنة، ولكن لم يتم الربط في هذه القصيدة إلا عن طريق الضمائر وهي أبرز أدوات الربط الإحالي وأكثرها انتشارا، وسيعمد البحث إلىٰ رصد حضورها داخل النص. حيث لم تعمد الباحثة إلىٰ البحث عن نص توجد فيه كل أدوات الربط الإحالي أو معظمها، بل تم اختيار نص اختيارا عشوائيا ودراسة الربط الإحالي فيه، لإثبات أن أي نص لابد من وجود ربط إحالي به يعمل علىٰ تماسكه.

نلاحظ في القصيدة الإحالة من خلال الضمائر، وقد عد النحاة الضمائر من المعارف إلا أنها مبهمة لكونها تقع علىٰ كل شيء من حيوان وجماد وغيرها ولا تختص بقسم دون غيره ولعدم وضوحها ونقصان دلالاتها وحاجتها إلىٰ مفسر يوضحها. وقد وضع النحاة ضمير المتكلم في المرتبة الأولىٰ في سلم التعريف ثم المخاطب ثم الغيبة لأن ضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة أما ضمير الغيبة فصاحبه غير معروف لكونه غير حاضر ولا مشاهد ولذلك لا بد له من مفسر يفسره.

وإذا نظرنا إلىٰ الضمائر من زاوية التماسك أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام والأدوار الأخرىٰ، أما أدوار الكلام فتندرج تحتها جميع الضمائر الدالة علىٰ المتكلم والمخاطب، وهي إحالة إلىٰ خارج النص بشكل نمطي، تشير إلىٰ المقام (المتكلم/ المتكلمين، أو المخاطب/ المخاطبين).

هذا عن أدوار الكلام، أما الأدوار الأخرىٰ فيندرج ضمنها ضمائر الغيبة، وهي علىٰ عكس الأولىٰ تحيل قبليا بشكلٍ نمطي غالبا، أو بعديا فتقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه، فتلعب بذلك دورا هاما في تماسك النص.

وتبدأ الإحالة في مطلع القصيدة من خلال علاقة الإسناد في قوله(رحل النهار)؛ فهنا أسلوبُ إسناد خبري؛ فالمسند إليه: النهار، والمسند هو الفعل رحل. فقد أحال المسند إلي المسند إليه في العلاقة الإسنادية.

وفي قوله(ها إنه انطفأت ذبالته علىٰ أفق توهج دون نار): المعنىٰ الذي يفيده (ها) التنبيه بمعنىٰ الضمائر (خاصة ضمير الشأن)، وتسمىٰ ما

يلحق بالضمائر، وتضاف (ها) لاسم الإشارة وتسمىٰ هذه (ها التنبيه) أي أنها تعطي معنىٰ التنبيه، يقول ابن يعيش" اعلم أن –ها– كلمة تنبيه وهي علىٰ حرفين ك (لا وما) فإذا أراد تعظيم الأمور والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة وقالوا هذا وهذه ف–ها– للتنبيه وذا للإشارة والمراد تنبيه أيها المخاطب لمن أشير إليه، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال وهي ثابتة لفظا)[1].

واستعمل الشاعر تقنية الإحالة باستخدام ضمير الغائب المتصل(الهاء) في(إنه) و(ذبالته) وهو هنا عنصر إحالي يعود علىٰ عنصر إشاري متقدم هو(النهار)، وهي إحالة داخلية(نصية) قبلية. وفي (إنه) أحال المسند إليه إلىٰ المسند ؛ حيث أن المسند إليه هو الهاء في (إنه)، والمسند هو الجملة الفعلية(انطفأت ذبالته علىٰ أفق توهج دون نار). وقد أسند السياب للنهار فعل الرحيل الذي يتطلب حركة وانتقالا من مكان إلىٰ مكان، مما خلق تنافرا وفجوة دلالية بين المسند(رحل) والمسند إليه(النهار)، ويعبر هذا الانزياح عن قرب النهاية ودنو الأجل، والمسند هنا إطناب بالتذييل يؤكد سيطرة فكرة الموت علىٰ الشاعر ويقينه بقرب نهايته. وفي قوله(أفق توهج) إحالة داخلية قبلية؛ حيث تم الربط الإحالي باستعمال ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ العنصر الإشاري(أفق). إن هذه الإحالة تجعل الجملتين متسقتين نصيا وتمنع تكرار بعض الكلمات التي يعوضها الضمير المقيم في الجملة الثانية. ولذلك نقوم بتأويل الجملتين (الأولىٰ والثانية)

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٢، ص ١٣٢ .

باعتبارهما لحمة متحدة تبنىٰ نصا أو جزءا منه، تبعا للطول والقصر. فهذه العلاقات اللغوية بين الجمل اللاحقة والسابقة قامت علىٰ الضمائر المذكورة آنفا. وهي التي ساعدت المبدع علىٰ بناء نص متماسك.

إذن يشترط التماسك النصي هنا توفر بعض الضمائر العائدة صحبة الكلمات التي تعود عليها، فالإحالة تكون تبادلية بين الضمائر والكلمات التي تحيل إليها أي أن الاثنين يحيلان إلىٰ الشيء ذاته.

وإذا تأملنا النص سنجده حافلا بالإحالة الخارجية، حيث تطالعنا الإحالة الخارجية(المقامية) منذ المقطع الشعري الأول في القصيدة، الذي يقول: (وجلست تنتظرين عودة سندباد من السفار) توجد إحالة خارجية(مقامية) من خلال التاء في(جلستِ) وهو ضمير متصل بارز هنا يحيل علىٰ شخص مخاطب، وهذا العنصر الخارجي المحال إليه لا بد من الاستعانة بالسياق لمعرفته والوقوف عليه. ونجد هنا التفات ضميري من الغائب إلىٰ المخاطب، وهذا الالتفات الضميري المفاجئ يستوقف المتلقي، ويلفت انتباهه، مما يستدعي منه إعمال الذهن في تحديد المحال عليه، فإذا كان المتلقي يدرك أن كل ضمير مخاطب مؤنث في الشعر لم يحدد مفسره يعود علىٰ امرأة/ ملهمة؛ فهذا الإدراك للقاعدة السابقة مأخوذ من السياق الخارجي للنص .

إذن فتحول الضمير من الغيبة إلىٰ الخطاب أسهم في عملية تفسير الإحالة وتعيين المحال إليه من خلال السياق.

وهذا الالتفات في الضمائر والمغايرة في الاستخدام لا يؤثر في عملية التماسك كما قد يتوهم المتلقي، بل أسهم هذا الالتفات في تفسير عملية

الإحالة، وصنع حلقة إحالية تضاف إلىٰ الحلقات السابقة مشكلة بداية سلسلة متماسكة لبنية إحالية نصية. فانتهاك قوانين التماسك قد تكون لتحقيق أغراض بلاغية. فإذا كان التطابق بين الضمير ومرجعه مثلا وسيلة من وسائل الإحالة، فإن الإخلال بهذا التطابق قد يضفي علىٰ النص سمة الأدبية، ويعزز من إمكاناته البلاغية كما هو واضح في ظاهرة الالتفات.

وكذلك في ياء المخاطبة في(تنتظرين)، حيث قام الضمير المتصل بالإحالة علىٰ مؤنث يقع خارج النص. وقد تكررت هذه الإحالة(جلست تنتظرين) مرة أخرىٰ في المقطع الرابع من القصيدة، وهي إحالة عن طريق التكرار لتأكيد الجو النفسي الحزين المسيطر علىٰ الشاعر من خلال استخدام تقنية القصة وهي أداة تعبيرية موحية ومؤثرة.

إذن يمثل الضمير المتصل العائد علىٰ المخاطبة المؤنثة أول إحالة مقامية، فعلىٰ من يعود هذا الضمير؟ وما المرأة التي يعنيها الشاعر؟ هل هي زوجته ؟ أم هي ملهمته؟ أم هل هي بلده؟ أم شيء أو حالة أخرىٰ يود الشاعر أن يجسدها لنا لينقل لنا همها وتجربتها ؟

فلو أنعمنا النظر في النص كله لوجدنا أن الإحالة المقامية تلك تتردد ٢٢ مرة في نص عدد أسطره لا يزيد عن (٥٦) سطرا، مما يضفي جوا من التساؤل حول تلك المؤنث، التي أحال إليها الشاعر بضمير المخاطب مرات ومرات بضمير المتكلم، فمن تكون؟ (زوجة الشاعر، أو ملهمته، أو أية امرأة أخري تعيش موقف مشابه لمعنىٰ القصيدة، وربما إلىٰ حالة أو ذكرىٰ خاصة في حياة السيّاب لا يعرفها إلا هو). وقد احتفىٰ الشاعر العربي منذ القدم بالمرأة في شعره فكان لها حضورها بوصفها تشغل مساحة من

حياته وينعكس هذا الحال علىٰ أدبه. والأنثىٰ التي تسكن قصائد الشعراء برهان علىٰ أن البناء الفني يمثل بدرجة من الدرجات عالما مصغرا قد صنع من لبنات اللغة يحاكي عالم الحياة الواقعي، فكما أن حياة الإنسان قوامها رجل وامرأة فإن الفن – إلىٰ حد كبير – يأتي مشتملا علىٰ هذا الحضور الأنثوي.

كما نجد إحالة خارجية من خلال كلمة(سندباد)، فهي إحالة علىٰ المستوىٰ الفكري والنصي؛ أي إحالة نص إلىٰ نص علىٰ مستوىٰ الفكرة. فالقصيدة تنتمي إلىٰ ما يسمىٰ بأدب الرحلة، فكلمة(سندباد) جعلت القصيدة المدروسة تتقاطع مع نص ألف ليلة وليلة، وهو إحالة إلىٰ سياق زمني ألا وهو السياق العربي الحضاري في العصر العباسي، عصر الانفتاح علىٰ الأمم الأخرىٰ، الذي اتسعت فيه الدولة أفقيا، وبالتوازي مع هذا الاتساع الأفقي هناك اتساع علىٰ المستوىٰ الرأسي يكشف عن هرم معرفي عربي تتكون لبناته من حقول معرفية شتىٰ، استقر بناءه في هذا العصر. وإحالة إلىٰ سياق ثقافي تراثي، قد صار السندباد- الذي قام بسبع رحلات امتلأت بالغرائب والعجائب- رمزاً للجوال في الآفاق، الذي يقوم برحلاته المتكررة عبر المجهول. فالسياب في هذه القصيدة يستعير ملامح السندباد لشخصيته. فالتراث مصدر مهم وثري للعديد من الشعراء المبدعين. فقد عاد السياب إلىٰ التراث، و شخصياته فاختار منها شخصية ذات بعد أسطوري وهي شخصية السندباد.

وكلمة(سندباد) إحالة علىٰ مستوىٰ المذكر(زمن ألف ليلة وليلة) والمورث التراثي(السندباد ورحلاته السبع). في مقابل الإحالة السابقة وهي

إحالة علىٰ مستوىٰ المؤنث في قوله(جلست تنتظرين). وقد ارتبطت بكلمة السندباد، إحالات كثيرة عائدة عليها.

وعلىٰ الرغم من أن هاتين الإحالتين خارجيتين وتتكرران في النص بكثرة، إلا أنهما لم يسهما في اتسام النص بشيء من الغموض. حيث يرىٰ البعض أن الإحالة الخارجية غير فعالة في التماسك النصي؛ حيث إن الخروج برؤية حول النص، يتوقف بصورة أساسية علىٰ فهم كنه المحال إليهما خارج النص، وأن الإحالات المقامية تسهم في إبداع النص لأنها تربط اللغة بسياق المقام، غير أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر. ولكن العكس حدث هنا؛ وذلك لأنهما وإن كانتا إحالتين خارجتين تحتاجان إلىٰ البحث عن العنصر الإشاري العائدتين عليهما خارج النص، ولكن مرجعهما معروف؛ فدائما المؤنث في القصيدة، امرأة ملهمة أو معشوقة أو الأرض وما شابه، والسندباد مورث ثقافي معروف لنا جميعا، لذا كان فهمهما يسيرا وكأنهما إحالات داخلية نصية مذكورة داخل النص ومعروف مرجعها.

وقوله(والبحر يصرخ من وراءك بالعواصف والرعود) إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائب المستتر في(البحر يصرخ) الذي يعود إلىٰ العنصر الإشاري(البحر). فقد أحال المسند وهو الجملة الفعلية(يصرخ من وراءك بالعواصف والرعود) إلىٰ المسند إليه وهو(البحر).

وتوجد إحالة خارجية من خلال كاف الخطاب في(وراءك) وهي إحالة إلىٰ مؤنث(شخصية المرأة بطلة قصة الشاعر الحزينة في هذه القصيدة).

وفي قوله(هو لن يعود) جعلت الإحالة الجملتين متماسكتين نصيا ومنعت تكرار بعض الكلمات التي يعوضها الضمير المقيم في الجملة الثانية. ولذلك نقوم بتأويل الجملتين (الأولىٰ والثانية) وهما(جلست تنتظرين عودة سندباد من السفار) و(هو لن يعود) باعتبارهما لحمة متحدة. فالتماسك النصي يشترط هنا توافر بعض الضمائر العائدة صحبة الكلمات التي تعود عليها، فالإحالة تكون تبادلية بين الضمائر والكلمات التي تحيل إليها؛ أي أن الاثنين يحيلان إلىٰ الشيء ذاته.

أحال المسند(لن يعود) إلىٰ المسند إليه(هو)، فتوجد إحالتان نصيتان قبليتان، من خلال ضمير الغائب البارز المنفصل(هو)، وضمير الغائب المستتر(هو) في(يعود) وهما يعودان إلىٰ عنصر إشاري سابق وهو(السندباد). وهما إحالتان إلىٰ مذكر. وقد تكررت هذه الإحالات(هو لن يعود) أربع مرات في المقاطع التي تتكون منها القصيدة لتفيد اليقين التام بدنو ساعة الرحيل، مما يشير ويؤكد الاختلاف بين نهاية رحل السندباد المحال إليه، والسندباد/ السياب، حيث يرتحل السنديادد(المحال إليه) سندباد ألف ليلة وليلة من مدينة إلىٰ مدينة، ويلاقي أهوالا كثيرة، وبالرغم من هذه المصاعب التي تصل حد الموت، يبقىٰ هناك قنديل خفي يضيء، وعلىٰ ضوئه كان يلوح طريق العودة، التي يصر الراوي في ألف ليلة وليلة علىٰ أن تكون دائما مكللة بالظفر والأموال والجواهر، بالرغم من مد الشدائد والأهوال والبحار. "وكنت أنا من جملة من تخلف في الجزيرة فغرقت في البحر مع جملة من غرق ولكن الله تعالىٰ أنقذني ونجاني من الغرق ورزقني بقصعة خشب كبيرة من تلك التي كانوا يغسلون فيها، فمسكتها

بيدي وركبتها من حلاوة الروح ورفست برجلي مثل المجاذيف والأمواج إلىٰ أن رست بي تحت جزيرة عالية".(١)

أما السندباد/ السياب وإن كانت رحلته شبيهة برحلة سندباد ألف ليلة وليلة حيث ظل يتنقل من مستشفىٰ إلىٰ مستشفىٰ حاملا قروحه وآلامه وغربته ويأسه، يتنقل فاقداً الأمل في شفائه. فالرحلة واحدة ولكن النهاية مختلفة. نهاية سعيدة لسندباد ألف ليلة وليلة، وعكسها للسندباد/ السياب. فإذا كان السندباد دائم السفر تاركا زوجته، ليعود بعد ذلك مهما طال السفر، محملا بالهدايا و المال، فإن السياب كان كثير التنقل بين العواصم بحثا وأملا في الشفاء و العودة ولكنه لن يعود؛ فقد مات في المستشفىٰ دون شفاء.

فقد قر في الوجدان الجمعي العربي منذ الطفولة ونحن نقرأ ونسمع ونرىٰ حكايات السندباد السبعة، أن السندباد مغامر محظوظ جدا، فهو يخوض الأهوال التي تفتك بأعتىٰ الرجال، ولكنه يغالبها ويقتل المشاق التي تعترضه بقوىٰ غيبية عجيبة طالما حلم السياب لو امتلكها، وإذ ذهب فقيراً معدمًا فإنه يعود غنيـًا ظافراً، لكن ذات السياب السندبادية كانت خائبة، فلئن كان قد انطلق وراء الحلم والأمل، لكنه لا يعود، فهو ذاهب لغير رجعة، مخلفًا زوجة صابرة تأمل في عودته، ومن هنا اتخذ الشاعر قفلة لازمة أشبه بالقافية تتكرر أكثر من مرة، وهي الإحالة بالتكرار من خلال

(١) ألف ليلة وليلة، سعيد علي الخصوصي، صاحب المكتبة والمطبعة السعيدية بجوار الأزهر بمصر، نسخة مقابلة ومصححة علىٰ النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق الأميرية ١٢٨٠هـ، المجلد الثالث، ص ١٠٢.

قوله)هو لن يعود)، منبئة عن اليأس الذي يفترسه بعد فقدانه للأمل البشرىٰ بالرجوع، والشاعر جعل لعبارته هذه مغزىٰ ودلالات؛ فضمير الغائب (هو) والعائد للمذكر المفرد أي إليه، فيه إسقاط للحاضر المتمثل في شخصه، وقتل لذاته ومحي لها من سجل الوجود الراهن، ورمي متعمد لها في ذاكرة الغيب المنسية، وحرف النصب(لن) تأكيد لهذا المعنىٰ فهو نفي قاطع لمستقبل مفقود أمام الشاعر؛ وتأكيد لا مناص منه بعدم العودة، ولذا لم يكن غريبًا علىٰ الشاعر أن يسمي قصيدته (رحل النهار) وبها افتتح، إيذانًا بليل بائس طويل لا آخر له.

أو ما علمتِ بأنه أسرته آلهةُ البحار

في قلعةٍ سوداء في جزرٍ من الدمِ و المحار

هو لن يعود،

رحل النهار

فلترحلي، هو لن يعود.

توجد إحالة خارجية من خلال ضمير المخاطب المؤنث التاء في(علمتِ). وإحالة داخلية قبلية، من خلال ضمير الغائب المتصل الهاء في(بأنه) و(أسرته) تعود علىٰ العنصر الإشاري(السندباد)، فشدة مرض السياب جعله يستحضر الموت في كل لحظات حياته، فسندباد السياب مسجون في قلعة سوداء نائية في جزر بعيدة، تجتاحها العواصف المدمرة التي ستغرق سفينته إلىٰ القرار، وهذه القلعة هي الأخرىٰ تتأثر بهذا الفعل إذ أنها تغرق في الدم، وهي هنا تشير رمزيًا إلىٰ الكون المصغر الذي يعيشه

السياب، إنه الكون المحكوم بالفشل في الحب والشفاء، والأمل على المستوى الشخصي، وعلى المستوى العام في علاقته مع الحياة الاجتماعية.

من أهم الملاحظات على الشاعر، أنه كرر جملة (رحل النهار) في قصيدته إحدى عشرة مرة وكذلك جملة(هو لن يعود) حيث كررها أربع مرات كما ذكر سابقا. فهي إحالة بالتكرار، حيث يكرر الشاعر نفس الجملة. وهذه الإحالة المتكررة بالجملتين(رحل النهار)، و(هو لن يعود) إحالة إلى الغياب، وهو غياب يعود إلى فكرة المسافر الراحل في المكان دائمًا، الذي لا يستقر. أو الغياب الذي يساوي فكرة عدم التحقق، وعدم الوصول إلى الغاية. فسندباد السياب المسافر يفقد كل آماله بالعودة الظافرة، وينطفئ الشعاع الذي ينير له رحلة الكشف والمغامرة بفعل المؤثرات الخارجية القاسية. ولم يكن هكذا السندباد القديم، ولكن لا غرابة في أن يكون، فهكذا رآه الشاعر، أو رأى نفسه فيه. إن رحلته ليست رحلة كشف ومغامرة يعود بعدها بالطرف الفريدة كما كان شأن السندباد، ولكنها رحلة في عالم الضباب والمجهول، رحلة لا عودة منها. فالإحالة الخارجية هنا عن طريق السندباد وما تلاه من عدد من الإحالات الداخلية القبلية العائدة عليه تقوم جميعها بوظيفة نفسية عند السندباد/ الشاعر(السياب)؛ حيث ترتبط بأحلامه وتصوراته الرمزية للأشياء من حوله، و تومئ إلى تجاربه النفسية في الحياة ومخاوفه وآماله والآلامه. فاستخدام السياب للإحالة الخارجية هنا عن طريق السندباد والإحالات الداخلية الأخرى العائدة عليها في هذه القصيدة، يعتبر تجسيداً واعياً

لتجربته الطويلة مع المرض ورحلة الإحباط التي رافقته طيلة سنواته الأخيرة.

وفي قوله(فلترحلي) إحالة خارجية إلىٰ مؤنث من خلال الضمير المتصل(ياء المخاطبة). ونلاحظ هنا الإحالة من الأسلوب الخبري إلىٰ الأسلوب الإنشائي، وهو أمر مفيد للالتماس والتوسل، ويأتي هذا الأمر في نهاية المقطع، وفي نهاية القصيدة، مما يعني أن انفعال الشاعر يصل إلىٰ مداه، ، فقد تكررت هذه الإحالة مرتين مما يؤكد قوله، فهو يطلب من المرأة المنتظرة أو من غيرها ممن يعلقون الآمال علىٰ عودته، يطلب منهم عدم الانتظار لأن السندباد/ الشاعر لن يعود هذه المرة.؛ فالسندباد(السياب/ الشاعر) سائر في رحلة الموت بعد أن تغلب عليه المرض، وجميع الدلائل في الأفق توحي بعدم عودته، بل توحي بوجود كوارث ثمرتها الموت والرماد. وقد تصرف الشاعر في قناعة السندباد، وحمله بعداً جديداً هو عدم العودة من الرحلة هذه المرة، إشارة إلىٰ انقطاع أمله في العودة إلىٰ حياة الاستقرار، وفقدان الأمل في العودة بسبب تغلب المرض عليه، ويلح علىٰ عدم الجدوىٰ من الانتظار.

الأفقُ غاباتٌ من السحب الثقيلة و الرعود،
الموتُ من أثمارهنّ و بعض أرمدة النهار
الموتُ من أمطارهنّ ، و بعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهنّ و بعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار.

بالإضافة إلىٰ الإحالة السابقة من الأسلوب الخبري إلىٰ الإنشائي، فقد قام الشاعر أيضا بالإحالة داخل الأسلوب الخبري من الاسمي(حيث تغلب علىٰ القصيدة الجمل الاسمية وهو ما يبرر السكون الذي ميزها) مثل (الأفق، الموت، الخوف) إلىٰ الفعلي(رحل)، وهي تنسجم مع فكرة السندباد والرحلة التي يقوم بها هذا البطل الرمزي علىٰ مستوىٰ القصيدة.

وفي قوله(أثمارهن، أمطارهن، ألوانهن) إحالات داخلية قبلية، وذلك من خلال ضمير جمع الإناث الغائب المتصل(هن)، وهي إحالات داخلية تعود علىٰ العنصر الإشاري (الرعود) أولا وهو الأقرب، ثم (السحب والغابات). وهي إحالات تفيد فقدان الأمل في شروق الشمس مرة أخرىٰ. وتعبر عن معاناة الشاعر، وعكست ما يعيشه داخليا من خوف ويقين في نفس الوقت. حيث تتكسر علىٰ صفحة البحر الهائج رعودا وعواصف. ويصبح الأفق، الفضاء الممتد الذي يشير رمزيا في حالته الجمالية إلىٰ الأمل والنور والخلاص، يصبح عند السياب في حالته المرضية سحبا ثقيلة وخوفا وموتا. فهو بهذه الإحالة يشير إلىٰ تجربته المريرة من التنقل والعناء والمرض.

من الإحالة بالتكرار كلمة(الموت)، فقد كرر الشاعر الموت مرتين فكانت الكلمة الثانية بالنسبة للأولىٰ إحالة بالتكرار؛ فشدة مرضه ويأسه منه سيطر علىٰ كيانه كله، وجعله أسير هواجسه فأصبح هو همه اليومي. وفي تكرار قوله(وبعض أرمدة النهار) إحالة بالتكرار. بالإضافة إلىٰ تكرار هذا الكلام كله مرة أخرىٰ دون تغير في مقطع آخر في القصيدة. إذن هناك تكرار لجملة، وتكرار لمقاطع شعرية بأكلمها أكثر من مرة في القصيدة وكل هذه

الإحالة بالتكرار تؤكد الرحيل وعدم إمكانية العودة، وتبرز ما يعتمل بداخل الشاعر من خوف وفقدان للأمل في شروق شمس الأمل.

و كأن معصمكِ اليسار

و كأنّ ساعدكِ اليسار، وراء ساعته، فنار

في شاطئٍ للموت يحلم بالسفين علىٰ انتظار.

رحل النهار

هيهات أن يقف الزمان، تمر حتىٰ باللحود

خطىٰ الزمان و بالحجار.

رحل النهار و لن يعود.

رحل النهار.

يبدأ هذا المقطع بإحالة خارجية من خلال كاف الخطاب في(معصمكِ) و(ساعدكِ) وهي إحالة إلىٰ مؤنث.

وتوجد إحالة داخلية قبلية وهي هاء الغائب ضمير متصل في(ساعته) تحيل إلىٰ العنصر الإشاري(ساعد). وكذلك توجد إحالة داخلية قبلية أيضا من خلال ضمير الغائب المستتر(هو) في قوله(يحلم).

خصلات شعرك لم يصنها سندباد من الدمار،

شربتْ أجاج الماء حتىٰ شاب أشقرها و غار

و رسائل الحب الكثار

مبتلة بالماء منطمسٌ بها أَلَق الوعود

و جلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار:

" سيعود . لا . غرق السفين من المحيط إلىٰ القرار

سيعود . لا. حجزتهُ صارخة العواصف في إسار
يا سندباد، أما تعود ؟
كان الشباب يزول، تنطفئ الزنابقُ في الخدود
فمتىٰ تعود ؟
أوّاه، مدَّ يديك بين القلب عالمه الجديد
بهما و يَحْطم عالم الدم و الأظافر و السعار،
يبني .. و لو لهنيهة دنياه.
آهٍ .. متىٰ تعود ؟

توجد إحالة خارجية من خلال كاف الخاطب(شعركِ) وهي إحالة إلىٰ مؤنث. كما توجد إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائبة المتصل في قوله(يصنها) و(أشقرها)، وضمير الغائب المستتر في قوله(شربتْ) تعودان علىٰ العنصر الإشاري(خصلات الشعر). وتوجد أيضا إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائب المستتر في قوله(غار) يعود علىٰ عنصر إشاري مذكر هو لون الشعر الأشقر. وكذلك توجد إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائبة المتصل في قوله(بها) يعود علىٰ العنصر الإشاري(رسائل الحب). والمقطع من(خصلات شعرك إلىٰ منطمس بها ألق الوعود) قد يشير إلىٰ تجربة خاصة عاشها السياب مع ممرضة لبنانية شابة كما ذكر البحث، فمن المحتمل أن تكون خصلات الشعر، ورسائل الحب المذكورة، هي تلك التي أهدتها له الممرضة، وقد تشير إلىٰ ذكرياته مع زوجته، وربما مع امرأة أخرىٰ، وربما إلىٰ حالة أو ذكرىٰ خاصة في حياة السياب لا يعرفها إلا هو. فلا يوجد إطار معرفي واحد يصلح لتفسير جميع

النصوص، وذلك لأن النصوص تتصل اتصالا وثيقا بالعالم الخارجي، إما عن طريق الإحالة المباشرة، أو عن طريق التشويش المتعمد لهذه الإحالة. كذلك قد يفرز النص أحيانا دلالات لا يستطيع المفسر احتواءها داخل إطاره المعرفي، وتتطلب إطارا معرفيا آخر. فليست هناك معايير ثابتة لتفسير النصوص وشرح دلالاتها. لذلك أحيانا تتسم الإحالة الخارجية بالصعوبة وقد تعوق الفهم، لذا لابد من العودة لظروف إنتاج النص إذا كان ذلك متاحا، بالإضافة إلىٰ إعمال المتلقي عقله وإشراكه في عملية بناء النص عن طريق تأويله وفهمه الخاص له.

حيث إن قدرة النص علىٰ إيصال عنصر الإفهام والقراءة التفاعلية إلىٰ الآخر تعتمد علىٰ المتلقي باعتباره الشريك المنتج للنص بتأويله لمكونات النص الدلالية مستخدما معرفته الخلفية التي يشترك هو والمنتج في فضاءها، فكلما كانت معرفة كاتب النص الخلفية تنتمي لفضاء مشترك مع القارئ، كان النص منتجا قابلا للتداول والتفاعل، ومحققا وظيفته التي لا تنحصر في تحديد أواصر العلاقة بين الدال والمدلول فقط وإنتاج المعنىٰ، ولكن من أجل خلق تواصل إشاري وعلاقات مع الآخر .

وتكرار الإحالة الخارجية(وجلست تنتظرين) يشير إلىٰ عدم فقدان المرأة للأمل في عودته، مع إصرار الشاعر علىٰ عدم العودة. ولا يكتفي الشاعر بتصوير قلق المرأة الخارجي، بل وفي منولوجٍ داخلي يغوص فيه إلىٰ أعماق (أنا) المرأة يروي لنا عواطفها المحترقة، وهي تجتر خواطرها .

وفي قوله(سيعود) إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ عنصر إشاري متقدم هو السندباد. وقد تكررت

هذه الإحالة مرة أخرىٰ(سيعود) للدلالة علىٰ كثرة التساؤلات التي تشير إلىٰ حالة من التشتت النفسي والقلق غير المحسوم. وكذلك توجد إحالة داخلية قبلية في قوله(حجزته) من خلال ضمير الغائب المتصل الذي يعود علىٰ عنصر إشاري متقدم هو السندباد.

وقوله(يا سندباد)- كما ذكر البحث- إحالة خارجية تشير إلىٰ تشابه في الرحلة ولكنها لا تحمل النهاية نفسها؛ السندباد المحال إليه يعود ظافراً، أما السندباد السياب فلا رجاء بعودته. فقد تمكن منه المرض وقرر ألا يرحل بدونه، فغابت الرؤىٰ المشرقة من القصيدة. وقوله(يزول) إحالة داخلية قبلية عن طريق ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم(الشباب).

وتوجد إحالة خارجية في قوله(تعود) الذي تكرر ثلاث مرات. وتكرار الإحالة الداخلية(سيعود) والإحالة الخارجية(تعود) يشير إلىٰ كثرة تساؤلات المرأة وقلقها وخوفها من زوال شبابها دون أن يتمتع به السندباد. ويفيد طول الانتظار والأمل في العودة. وقوله(مدَّ) إحالة خارجية، من خلال ضمير المخاطب المستتر(أنت) العائد علىٰ شخصية السندباد في الواقع الماثل هنا في الشاعر/ السياب. وكاف الخطاب في قوله(يديك) العائد علىٰ مذكر وهو شخصية السندباد.وتوجد إحالة داخلية قبلية في قوله(عالمه) من خلال ضمير الغائب المتصل الهاء العائد علىٰ العنصر الإشاري(القلب). وضمير الغائب المثنىٰ في قوله(بهما) العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم(يديكَ) وقد تكررت هذه الإحالة في السطور الشعرية التالية.

كما توجد إحالة داخلية قبلية في قوله(يحطم) من خلال ضمير الغائب المستتر وتقدير هو العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم عالم القلب الجديد في قوله(عالمه الجديد). وكذلك توجد إحالة داخلية قبلية في قوله(يبني) من خلال ضمير الغائب المستتر هو العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم عالم القلب الجديد في قوله(عالمه الجديد). وقوله(دنياه) الهاء ضمير الغائب المتصل، إحالة داخلية قبلية تعود إلىٰ عنصر إشاري متقدم هو(القلب). فامرأة السندباد/ السياب هنا وفية تنتظر الفارس القادم من وراء المحيطات مادا يديه، ليعود شبابها إليها، وليبني قلبها عالمه الجديد، بعد طول انتظار، إنها تنتظره رغم أن الزمن يفقدها شبابها ونضارتها، والفعل السندبادي هو الآخر لا يستطيع أن يحافظ علىٰ نضارتها، باعتباره فعلا ملغىٰ ومنهكا علىٰ المستوىٰ الصحي. إنه زمن المرارة ، زمن الانتظار المستحيل، الذي تفقد فيه المرأة بريقها الأنثوي، فيغور شعرها، ويغزوه الشيب في عز الصبا حزنا علىٰ السندباد الغائب.

أترىٰ ستعرف ما سيعرف، كلما انطفأ النهار،
صمتُ الأصابعِ من بروق الغيب في ظلم الوجودِ؟
دعني لآخذ قبضَتَيْك، كماء ثلجٍ في انهمار
من حيثما وجّهت طرفي .. ماء ثلج في انهمار
في راحتيّ يسيل، في قلبي يصبّ إلىٰ القرار.
يا طالما بهما حلمتُ كزهرتين علىٰ غدير
تتفتحان علىٰ متاهة عزلتي."

في قوله(ترىٰ، وستعرف)إحالة خارجية من خلال ضمير المخاطب المستتر(أنت) العائد علىٰ شخصية السندباد/ الشاعر.

كما توجد إحالة داخلية بعدية في قوله(سيعرف) من خلال ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ متأخر الذكر في قوله(صمت الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود؟).

وتوجد إحالة خارجية في قوله(دعني) من خلال ضمير المخاطب المستتر(أنت) العائد علىٰ شخصية السندباد، وياء المتكلم الضمير المتصل. وضمير المتكلم المستتر(أنا) في قوله(لآخذ) العائد علىٰ المرأة الملهمة/ المعشوقة عند الشاعر. وكذلك توجد إحالة خارجية في قوله(قبضتيك) من خلال كاف الخطاب العائدة إلىٰ شخصية السندباد. وقوله(وجهتُ، وحلمتُ) إحالة خارجية من خلال ضمير المتكلم(التاء) العائد علىٰ المرأة. وفي قوله(طرفي، وراحتي، وقلبي، وعزلتي) إحالة خارجية عن طريق ياء المتكلم العائدة إلىٰ المرأة.

كما توجد إحالة داخلية قبلية في قوله(يسيل، ويصب) من خلال ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم(ماء ثلج). وكذلك توجد إحالة داخلية قبلية في قوله(تتفتحان) من خلال الضمير المستتر الغائب المثنىٰ(هما) العائد علىٰ عنصر إشاري متقدم هو(زهرتين). وقوله(ماء ثلج في انهمار) إحالة بالتكرار، فقد تكرر مرتين، فالمرأة بدأت تذوب كليا كما يذوب الثلج في النهار الصيفي، وباتت تنظر البارق الأخير والحلم المعجزة الذي يجمعها به .إن طمع الزوجة بتحقق

المستحيل يراودها، وهي تعيد هذه الصورة يوميا كلما انطفأ نهار جديد وأحست باللاجدوىٰ من الانتظار.

وبذلك هناك تغاير بين المحيل إليه المحال إليه، ففي ألف ليلة وليلة، يحقق السندباد لأسرته وزوجته كل ما تمنته ورغبت فيه من طمأنينة وأمان نفسي، وقصر فسيح، وخدم، وعودته إلىٰ بغداد عودة الظافر،" وتوجهت إلىٰ مدينة بغداد دار السلام، ومعي من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة ثم جئت إلىٰ حارتي ودخلت بيتي وقد جاء جميع أهلي وأصحابي ثم إني اشتريت لي خدمًا وحشمًا ومماليك وسراري وعبيداً حتىٰ صار عندي شيء كثير، واشتريت لي دوراً وأماكن وعقاراً أكثر من الأول"[1] أما السندباد المعاصر/ السياب فإنه لم يحقق التوق وشعلة الحنين المتفجرة عند المرأة نحو الحب والأمان والرجل الغائب، لأن زمن السياب الفاجع يقف محبطا أمنية المرأة وحلمها، فتغيب إشراقتها المتألقة، وتفقد الوعود الجميلة بريقها بعدم تحققها، وتذوب رسائل الحب بماء البحر المالح، ويطفئ الزمن توهج الحلم. وحين تشعر المرأة أنها علىٰ حافة الزمان، فإن رغبتها في التواصل الإنساني مع الرجل الغائب تدفعها للتعلق ولو ببصيص من نور، فتعيش علىٰ هذا الحلم الذي يبرد أعماقها المجروحة، وتمني نفسها بعودته. فثمة عاصفة أسرته وحجزته بعيدا، لكنها لن تدوم، ولها أمل في عودته الظافرة. إن حضوره يشعل اللحظة، ويجدد

(١) ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، ص ١١٦.

الحياة، ويبعثها من جديد، ويعيد لها طاقاتها الجمالية، وحينما تمسك قبضتيه، يعم الخصب والنماء، ويتجدد القلب.

رحل النهار

و البحر متّسعٌ و خاوٍ ، لا غناء سوىٰ الهدير

و ما يبين سوىٰ شراعٍ رنّحته العاصفات، و ما يطير

إلا فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار.

رحل النهار

فلترحلي، رحل النهار

ويأتي المقطع الأخير ليقطع أمل المرأة. وفي قوله(رنحته) إحالة داخلية قبلية من خلال ضمير الغائب المتصل(الهاء) العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم(شراع)، وقوله(يطير) من خلال ضمير الغائب المستتر(هو) العائد علىٰ(شراع). وفي قوله(يخفق)من خلال ضمير الغائب المستتر العائد علىٰ العنصر الإشاري المتقدم(فؤادك).

وتوجد إحالة خارجية في قوله(فؤادك) من خلال ضمير الخطاب الكاف العائد علىٰ المرأة. وتنتهي القصيدة بالإحالة الخارجية(فلترحلي، رحل النهار) وهكذا يطلب السندباد/ الشاعر من المرأة أن تنساه وترحل فقد رحل النهار. وبذلك فمن خلال معرفة حالة السياب الصحية والنفسية، وفشله من خلال مرضه الطويل يمكن فهم السبب الذي جعله يلغي عودة السندباد، وتمزق شراع سفينته، وينهي القصيدة والبحر متسع وخاو ولا أثر للسندباد. وحده الشراع الممزق يترنح فوق صفحة الماء، فلترحلي أيتها

المرأة، ولا جدوى من الانتظار بعد أن فقد السندباد كل آماله بالشفاء والعودة الظافرة.

إحالة العنوان للنص(إحالة داخلية بعدية) وإحالة النص للعنوان(إحالة داخلية قبلية)

للعنوان أهمية كبرى في تفكيك النص ودراسته وتحليله، إذ يقدم لنا المعونة في ضبط تماسك النص وفهم ما غمض منه، فهو بمثابة الرأس للجسد، ويشكل الموضوع أو المحور العام الذي تكون كل أفكار النص مستندات إليه، يكون هو الكل، وتكون هي جزئياته فهو" المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه والمحدد لهوية النص ومساءلة وحداته"(١)

فالعنوان(رحل النهار) يشير إلى النهاية وهو نفس معنى القصيدة، فالسياب متيقن من نهايته، لذا بدأها بجملة سردية صادمة تؤكد دنو أجله واقتراب غروب شمس حياته. وكل القصيدة تؤكد معاناة الشاعر وتجربته مع المرض فالقصيدة تدور حول نقل التجربة النفسية مع المرض، ومعاناة الشاعر الداخلية هي التي جعلته لا يرى في الطبيعة إلا عالمها الأسود الباعث على التشاؤم. وبذلك أحال العنوان إلى النص، كما أحال النص إلى العنوان.

من خلال ما تقدم يمكن ملاحظة أمور عامة على الإحالة في هذه القصيدة هي:

(١) محمد مفتاح: دينامية النص(تنظيرا وإنجازا)، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، الدار البيضاء– المغرب، ص ٧٢.

- **الإحالة من المذكر إلى المؤنث والعكس**: بدأت القصيدة بالإحالة إلىٰ مذكر(النهار) ثم أحالت علىٰ مؤنث(المرأة/ الملهمة)، ثم أحالت إلىٰ مذكر(السندباد)، وهكذا ظلت القصيدة تحيل من مذكر إلىٰ مؤنث، ومن مؤنث إلىٰ مذكر، حيث نجد الأصوات في القصيدة ثلاثة أصوات تتوزع في مركبات المقطع الأول ثم تتكرر طوال القصيدة، وهي صوت الشاعر وهو صوت هامشي علىٰ مستوىٰ شغل فضاء النص فهو شاهد ووسيط بين ذاتين يشغلان جسد النص كله تقريبا(المرأة والسندباد). ويحتل ضمير الغائب المساحة البيضاء تذكيرا وتأنيثا في هذا النص، ويحتل مقاما رفيعا ساهم في تماسك النص والتفافه حول مركباته ودلالاته من خلال حضوره سبعة عشر مرة في النص مما ساهم في تماسكه.

- **الإحالة من النفي إلى الإثبات**: من خلال النفي الفكري والنفي الدلالي، نفي للعودة؛ حيث تحمل القصيدة فكرة نفي وإثبات، إثبات لحالة معينة هي الرحيل، ونفي لفكرة الحضور الذي يسوي التحقق والإشباع.

- الإحالة من خلال المثنىٰ: صوت الشاعر، وصوت المرأة التي جعلها في دور المخاطب مرة، ومرة في دور المتكلم(من خلال مونولوج داخلي بينها وبين نفسها اطلعنا عليه الشاعر). إذن الأنثىٰ هنا صامتة أو ساكنة داخل القصيدة في مقابل ذات ذكورية متحركة يعبر عنها الأنا الناطق أو الشاعر الذي يخاطبها ويحكي علىٰ لسانها. وهذا الشاعر الذي يجلس مع الأنثىٰ ويخاطبها يأتي في آخر القصيدة ويتحرك ويتحول من حالة المثنىٰ هذه إلىٰ حالة الإفراد. فيمكن القول أن بنية المثنىٰ في خطاب القصيدة القائمة علىٰ الأنا والأنت، تتحول إلىٰ ما يمكن أن يسمىٰ حالة إفراد عندما يرغب الشاعر في تغييب هذه الأنثىٰ مع النهار، عندئذ يسقط الطرف الثاني في العملية

الخطابية ألا وهو الأنثىٰ ليبقىٰ المذكر مفردا في نهايتها يواجه مصيره المأساوي.

– الإحالة إلىٰ ما هو عام: حيث يتكرر هذا الجو النفسي في كل قصائد السياب وخاصة في آخريات حياته، إذن هنا(بنية تكرار عاطفية) عاطفة بعينها تتكرر علىٰ المستوىٰ الفني لا الجمالي.

خاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تثبت أن للإحالة دور كبير في خلق سمة النصية، وأوضحت بالشرح والتمثيل والبرهان كيف تسهم الإحالة في تعليق الكلام بعضه ببعض، والربط بين عناصره سواء أكانت تلك الإحالة علىٰ متقدم أو متأخر في شواهد شعرية من القصيدة بحيث صار النص كله كالسطر الشعري الواحد أو هو في حكم كلام واحد. يفسر بعضه بعضا فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر ،وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر.

نتائج البحث

وبعد هذا العرض النظري والتطبيقي لظاهرة الإحالة توصل البحث إلىٰ النتائج الآتية

- للإحالة دور كبير في التماسك النصي؛ فهي من أهم وسائل الربط وأكثرها ظهورا في النصوص؛ لكثرة ورودها وشيوع استخدمها. وتعمل علىٰ الإيجار والاختصار، ودقة الدلالة، وتحفيز عقل المتلقي بالبحث عن مرجع الأداة.

- الإحالة علاقة دلالية معنوية بين عنصر محيل وعنصر محال إليه، ينشئها المرسل في ذهن المتلقي، تربط ألفاظا معينة مبهمة الدلالة بما تشير إليه هذه الألفاظ من ألفاظ أو مواقف سابقة عليها أو تالية لها، لن يذكرها المرسل في هذا الموقف، بل يكني عنه بلفظ مبهم الدلالة مثل الضمير أو اسم الإشارة أو الموصول. يدل عليها السياق اللغوي الداخلي أو السياق غير اللغوي الخارجي(المقام)، لقصدية المتكلم الأثر في منح المعنىٰ لتلك

الألفاظ المحيلة. والاقتصاد في اللفظ، وربط اللاحق بالسابق والعكس، بما يحقق الاستمرارية والتماسك في النص.

– عناصر الإحالة هي: صانع النص، واللفظ الحيل، والمحال إليه، والعلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه.

– قطبي الإحالة هما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي. وكل منهما ينقسم إلىٰ معجمي ونصي.

– الإحالة قد تقع بين فئات نحوية عدة كأن تكون بين ضمير واسم، أو اسم واسم، أو ضمير وجملة، أو تربط بين عنصر لغوي وآخر غير لغوي موجود خارج النص.

– تنقسم الإحالة إلىٰ إحالة خارجية(مقامية)، وإحالة داخلية(نصية): وهي تنقسم إلىٰ إحالة قبلية، وإحالة بعدية.

– من أنواع الإحالة: الإحالة التكرارية.

– كلما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها علىٰ غيرها في فهمها، واضمحل استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطية، والتعلقية، وقدراتها التماسكية، وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام.

– من أدوات الربط الإحالي: الضمائر وهي أشهرها وأكثرها شيوعا واستخداما، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة.

– ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة حيث يمكن أن يسبب ذلك غموضا أو لبسا أو قلقا عند المتلقي يفقد معه متابعة النص.

- في قصيدة السياب(رحل النهار) تم الربط الإحالي من خلال الضمائر،حيث حققت تماسك النص بربط السابق باللاحق واللاحق بالسابق، ولم يقتصر دورها علىٰ الربط، بل كان لها- بالإضافة إلىٰ ذلك- دور بارز في التفسير، وإزالة اللبس والإبهام عن كثير من الجمل، وذلك من خلال التعرف علىٰ مرجع الضمير، ومدىٰ الانسجام المعنوي بينهما.

- وظف السياب في قصدته(رحل النهار) إحالات لغوية تقوم علىٰ عدة ضمائر متصلة ومنفصلة. إن هذه الانجازات اللغوية المبدعة تسلك طريقين للإحالة:

١- طريق الإحالة الخارجية(المقامية): أحالت علىٰ عنصر خارج النص، حيث يعانق المؤلف العالم الذي يقع خارج النص الشعري. كما أن المتلقي يغادر النص ليرصد الإحالة المقامية التي تساعده علىٰ فهم بعض أجزاء النص.

٢- طريق الإحالة الداخلية(النصية): أحالت علىٰ عنصر موجود داخل النص نص السياب الشعري. وهو نص متماسك عن طريق الإحالة اللغوية. فقد وظف الشاعر عدة إحالات لغوية تبرز أن العناصر البانية للنصوص لا تستطيع بمفردها تأويل الخطابات الداخلية، بل لا بد من الرجوع إلىٰ ما تحيل إليه مثل بعض الضمائر المنفصلة(الظاهرة والمستترة) والمتصلة.

- كما تضم الإحالة اللغوية، التي تمثل مظهرا قويا من مظاهر التماسك النصي في قصيدة(رحل النهار)، مجموعة أخرىٰ من الضمائر نطلق عليها ضمائر الملكية والنسبة، حيث نجد وسيلة أخرىٰ للإحالة اللغوية عند السياب، وهي توظيفه لبعض ضمائر الملكية والنسبة المتعلقة بالأسماء

فقط، مثل :(ورائك، أثمارهن، أمطارهن، ألوانهن، معصمك، ساعدك،ساعته، شعرك، أشقرها، يديك، عالمه، دنياه، قبضتيك، طرفي، راحتي، قلبي، عزلتي، فؤادك). يساعدنا هذا التوظيف علىٰ التمييز بين أدوار الكلام التي تنتمي إليها كل ضمائر الملكية والنسبة المتعلقة بالمتكلم : (طرفي، راحتي، قلبي، عزلتي) والمخاطب : (ورائك، معصمك، ساعدك، شعرك، يديك، قبضتيك)، والغائب بأعداده الثلاثة : (أثمارهن، ألوانهن، أمطارهن، ساعته، عالمه، دنياه). وتحيل ضمائر الملكية والنسبة السالفة إلىٰ السياق المرتبط بالمتكلم والغائب والمخاطب. حيث بث الشاعر رسالة لغوية محكمة إلىٰ المتلقي من خلال الضمائر التي ربطت بين جمل لاحقة وأخرىٰ سابقة. فالقارئ للقصيدة لا يستطيع الفصل بين الضمائر العائدة والكلمات التي تحيل إليها، ولن تقوم للتماسك النصي قائمة إذا ألغىٰ القارئ الضمائر، فعدم تعويض كلمة العنصر الإشاري بضمير عائد مناسب يقصي التماسك النصي ويبذر التفكك بين الجمل.

– ربط السياب في قصيدته(رحل النهار) من خلال الإحالة الخارجية(المقامية) بين عناصر قديمة وأخرىٰ حديثة(شخصية السندباد، وشخصية السياب الشاعر).

وبذلك فهو يدخل أصداء قديمة يطعم بها شعره ويكسبه الروح التراثية مستغلا ثقافته العربية. مما يعمل علىٰ إثراء النص الشعري، فالقارئ التقليدي يجد فيه الأسلوب المقبول الذي يرتضيه، والقارئ الحديث يجد بهذه الاقتباسات والانتفاعات ثقافة واطلاعا.

– الإحالة الخارجية في القصيدة أدت إلىٰ التناص، وذلك من خلال استخدام كلمة(السندباد). والتناص هو الترابط بين نصوص كثيرة بكيفيات مختلفة تعمل هذه العلاقة بين النصوص علىٰ تفسير نص غائب مذاب أو موصوف بنص ماثل لتحقيق انزياح في المعنىٰ وكشف المعلومات المختبئة التي تمثل المنجز الثقافي للمبدع، ومن خلال التناص يمكن إشراك القارئ في كتابة النص لأن القارئ أيضا يحتفظ بخزين من الثقافي المشترك.

– إن توظيف الإحالة الخارجية(السندباد) عند السياب يأخذ منحىٰ إنسانيا جديدا في عمق دلالته، إذ يأخذ السندباد عنده شكلا وموقفا مغايرا لما هو عليه في ألف ليلة وليلة. فالسندباد في القصيدة يشير إلىٰ مآسي الشاعر. فقد اتخذ السياب من السندباد قناعا له، ولكن غير في نهاية الرحلة، فشكّلها تشكيلا جديدا ناسب موقفه المَرَضي، وحالته الصحية التي أراد أن يبرزها في نصه الشعري. فقد أعاد السياب صياغة رحلات السندباد، وفق رؤية شعرية ذاتية، جسدت تجربته الإنسانية المعاصرة ومعاناته مع المرض واليأس والغربة والإرتحال من بلد إلىٰ بلد طلبا للشفاء .

– كان السندباد هو العنصر الإشاري الخارجي المحوري الذي استحوذ علىٰ معظم إحالات هذا النص الشعري الخارجية والداخلية، لكثرة الضمائر العائدة عليه والتي كُني بها عنه، بداية من اللفظ الصريح الذي ورد في أول مقطع في القصيدة، ثم توالت بعدها السلسلة الإحالية المتتابعة من الضمائر علىٰ صاحب هذه الضمائر مما يومئ إلىٰ الانسجام والاتساق والتماسك المحكم الذي أسهمت به تلك الضمائر وحركتها الإحالية في هذا النص.

– استخدم السياب ما يسمىٰ بالإحالة التكرارية، حيث نجد تكرار لكلمة(السندباد)، وتكرار لجملة(رحل النهار، وجلست تنتظرين، هو لن يعود، سيعود، تعود، ماء ثلج في انهمار، فلترحلي)، وتكرار لمقطع(عدة جمل)(الأفق غابات من السحب الثقلية والرعود....وبعض أرمدة النهار). وبهذا يصبح التكرار المعجمي وسيلة من وسائل التماسك النصي. فهو شكل من أشكال التماسك المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو تكرار نصي لعدة جمل أو مقطع أو أكثر وهو يمثل أداة واسعة الانتشار في النص، تمثلت في استخدام جمل اسمية وجمل فعلية، وفيه تأكيد لأن التكرار ضرب من التأكيد.

– ظهر الالتفات كوسيلة مؤثرة في تحقيق الربط علىٰ المستويين التركيبي والدلالي، وقد تمثل هذا الالتفات في الانتقال من الغائب إلىٰ المخاطب(إنه، وذبالته، توهج) إلىٰ(جلستِ، تنتظرين)، كما انتقل من الأسلوب الخبري إلىٰ الإنشائي، حيث تبدأ القصيدة بأسلوب خبري(رحل النهار) وتنتهي بأسلوب إنشائي(فلترحلي). وداخل الأسلوب الخبري نفسه نجد الصوت المتحرك الذي ينشأ بالفعل حركة، أجده يتحرك من الاسمي إلىٰ الفعلي، وهو ما ينسجم مع فكرة السندباد والرحلة التي يقوم بها هذا البطل الرمزي علىٰ مستوىٰ القصيدة. بالإضافة إلىٰ قيمة الالتفات الواضحة في لفت الانتباه والتشويق وتحفيز المتلقي، وتبديد جو الرتابة والسأم.

– الإحالة قضية مهمة من قضايا علم اللغة النصي، ومن هنا فهي في حاجة ضرورية إلىٰ كثير من التطبيقات علىٰ القرآن ونصوص الشعر العربي قديمه وحديثه.

المصادر والمراجع

أولا: المعاجم العربية:

(١) مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، ١٩٥٢م.

(٢) محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الخيرية- مصر، ١٣٠٦هـ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف- القاهرة.

(٤) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ١٩٧٢م.

ثانيا: المصادر العربية التراثية:

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلم، بيروت، ١٩٩٨م.

(٢) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م.

(٣) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

(٤) رضي الدين الاستراباذي: شرح كافية بن الحاجب، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٨م.

(٥) رضي الدين الاستراباذي: شرح الرضي علىٰ الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس- بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

(٦) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٩م.

(٧) أبو عمرو عثمان بن الحاجب: أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قداره، دار عمار- بيروت، دار الجيل- عمان، ١٩٨٩م.

(٨) ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب- بيروت، د.ت.

(٩) ألف ليلة وليلة، طبعت علىٰ نفقة: سعيد علي الخصوصي، صاحب المكتبة والمطبعة السعيدية بجوار الأزهر بمصر، نسخة مقابلة ومصححة علىٰ النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق الأميرية ١٢٨٠هـ، المجلد الثالث، ص ١٠٢.

❁❁❁❁❁

ثالثا: المراجع العربية الحديثة:

(١) أحمد عفيفي : الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية(العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) بدر شاكر السياب: ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة- بيروت، ١٩٧١م.

(٣) الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي- بيروت، ١٩٩٣م.

(٤) سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية ، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ١٩٩٩م.

(٥) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ١٩٩٧م.

(٦) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعاف، ط١، ١٩٩١م.

(٧) محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.

(٨) مصطفىٰ حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية(لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٩) محمد مفتاح: دينامية النص(تنظيرا وإنجازا)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، الدار البيضاء- المغرب.

رابعا: المراجع الأجنبية:

(1)Baaibaki,Ramzy Monir:Dictionary OF Linguistics Terms,p421

(2)K.Halliday and Ruqaiya Hasan,cohesion in English, New york,Longman,1976,p33.

(3)M. A. K. Halliday, An Introduction to Functional Grammar, 2nd edition (London: Edward Arnold, London, 199.

(4) Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-semiotic perspective (Oxford: Oxford University Press, 1989), 89.

خامسا: المراجع المترجمة:

(١) ج. ب. براون وج. بول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ص ٣٦.

(٢) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٧٢.